



رجاؤنا في الحياة
ما بعد الموت

الكتاب السادس

رؤيه الله

عند آباء الكنيسة

إعداد القمص تادرس يعقوب ملطي

دراسة أباتية روحية

في الحياة الافتراضية (الإسخانولوجية)

رجاؤنا في الحياة ما بعد الموت

الكتاب السادس

رؤيه الله

عند اباء الكنيسه

طبعة تحضيرية

م٢٠٠٧

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورن ترجم

بِاسْمِ الَّهِ وَالْأَبِ وَالْأُنَوْنِ وَالرُّوحِ الْقَدِيسِ
إِلَهِ الْوَاحِدِ. آمِين.

اسم الكتاب : رؤية الله عند آباء الكنيسة.

إعداد وتعليق : القمح تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة : طبعة تحضيرية ٢٠٠٧ م.

الناشر : كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس - اسبورتنج.

فصل ألوان، وطباعة :

مطبعة دير الشهيد العظيم مار مينا العجائبي بمريوط.

ت: ١٢٢٥٤٨٥٦ ، تليفاكس: ٣٤٥٩١٤٥٦

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٤٩٤١

الترقيم الدولي : 977 - 392 - 038 - 0

ملطي، تادرس يعقوب

رؤيه الله عند آباء الكنيسة / تادرس يعقوب ملطي .. - اسكندرية :

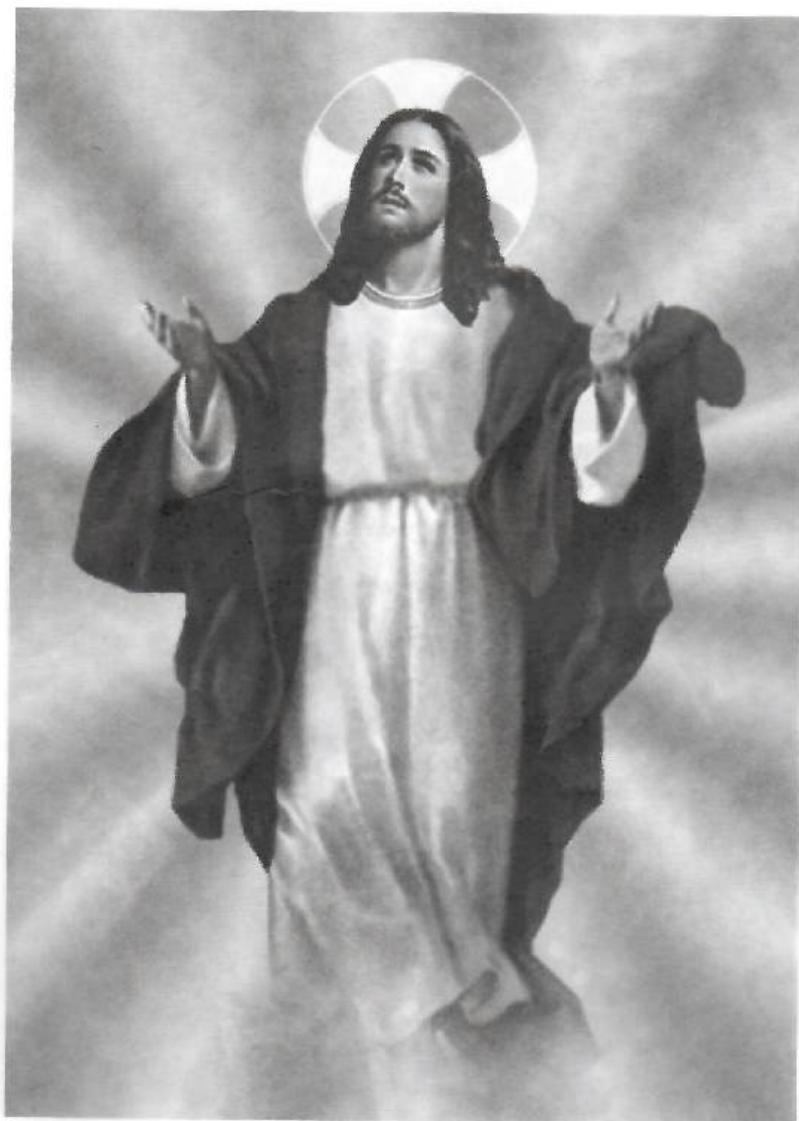
كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس - اسبورتنج ، ٢٠٠٧

. ٢٢ ص :

٢٩٢ ٠٣٨ ٩٧٧ تدمك .

١- الله (المسيحية)

أ. العنوان



السيد المسيح واهب الحياة والقيامة



صاحب الغبطه والقداسة
البابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ 117

أثر عيني فأتمنع برأيتك

ما أكثر الأسئلة التي ترد على ذهن الإنسان من جهة رؤية الله، سواء في هذا العالم ونحن في الجسد، أو في العالم الآتي حيث يتمتع جسdena بطبيعة جديدة. كثيراً ما نتساءل: هل ترَى الطعمات السمائية الله في جوهره، أم بالقدر الذي يسمح به لهم حسب قدراتهم؟

انشغل كثير من الآباء منذ نشأة كنيسة العهد الجديد بهذا الموضوع، حتى تبدو بعض كتبات الآباء في هذا الشأن كأنها فلسفات فكرية. لكن الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن الاهتمام بدراسة هذا الموضوع كثيراً ما يلهب القلب شوقاً لرؤية الله، ويُحرّك المؤمن على الطلبة المستمرة للتمنّع بالاستئثار الداخلية، مع الحرص الدائم على العطية الإلهية الفاتحة، وهي نقلوة القلب التي بها نعائين الله.

لقد سجلتُ في اختصار شديد نظرة آباء الكنيسة لرؤية الله، ليس كدراسةٍ فلسفية، إنما كعطية إلهية فاتحة، نحرص على طلبها، والتمنّع بها والنمو فيها بروح الله القدس.

رجاؤنا في رؤية الله بين التأمل والمعرفة والرؤية

ليس من موضوع يشغل أذهان أولاد الله الذين التهبت قلوبهم بالحب الإلهي مثل التمتع برؤيه الله. فقد بدأ موسى في العهد القديم خدمته برؤيه الله خلال الغلبة الملتئبة ناراً، كما كان يرى الله عملياً خلال معاملاته معه كل يوم في حياته الشخصية، وفي خدمته وسط الشعب. تتمتع بالمجد الإلهي الذي أشرق على وجهه، فصار مضيئاً. لم يتحمل الشعب أن ينظر إليه، فطلب منه أن يضع برائحته على وجهه حين يتحدث معهم، وبينزعه حين يدخل الخيمة، ويلتقي مع الله. تتمتع موسى باللقاء مع الله على جبل سيناء، ومع هذا كانت طلبه الأخيرة: "أرني مجدك" (خر ٢٣: ١٨). هذه الطلبة التي تحفت له بصورة رائعة بعد حوالى ألفين عاماً، حين ظهر مع إيليا ليعينا السيد المسيح المتجلّى على جبل تabor، ويتحدىان معه. هكذا لن يتوقف عطش المؤمن الحقيقي إلى رؤية الله بكل وسيلة، ليتمتع باللقاء مع محبوبه السماوي وجهاً لوجه. هذه الرؤوية لن تحدث في الحياة العتيدة وحدها، وإنما كما سيق فرأينا في كتاب "المسيحي والعبور إلى السماء" هي امتداد لحياة معاشرة يختبرها المؤمن كل يوم.

شهوة قلب كل مؤمن وكل لاهوتي حقيقي أن يكون من حق المختارين أن يتمتعوا برؤيه الله في الحياة الأبدية. هذا ما يعلنه القديس يوحنا الرسول: "لأننا سنراه كما هو" (يو ٣: ٢). غير أنه في ذات الرسالة يقول: "الله لم ينظره أحد قط" (١ يو ٤: ١٢). وبؤكد الرسول بولس: "ساكنا في نور لا يدْنى منه، الذي لم يرَه أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١ تي ٦: ١٦). هذا يثير أسئلة كثيرة منها:

١. هل هذه الرؤوية محفوظة فقط للحياة الأبدية؟ أم يمكن أن تبدأ هنا في خبرة داخلية في أعماق النفس؟
٢. هل رؤية السمايين الله هي رؤية نجوده؟
٣. هل يتمتع المؤمنون في السماء برؤيه الجوهر الإلهي؟

لقد كتب القديس يوحنا الذهبي الفم مقالاً بعنوان: "طبيعة الله غير المدركة"^١، يُظهر فيه استحالة رؤية الله في جوهره كما هو.

أكملت مجامع القسطنطينية في القرن الرابع عشر^٢ (١٣٤١، ١٣٥١، ١٣٦٨ م) أن الله لا يمكن الدنو منه من جهة الجوهر، فهو ليس موضوع معرفة الملائكة أو القديسين أو موضوع روئتهم، إنما يرى هذا الجوهر الإلهي خلال طاقاته الإلهية غير المخلوقة. وقد أفضى الأب غريغوريوس بالامام في الحديث عن هذه النظرية.

تساءل الأب يوحنا الأكونيني^٣: هل يمكن للخلق العاقلة أن ترى الله في الجوهر؟ بدأ إجابته بالاعتراض، مقتبساً نصين، أحدهما للقديس يوحنا الذهبي الفم^٤ حيث يقول فيه إنه لا يقدر أحد أن يرى الله. لا يراه الملائكة ولا كل الطغمات السماوية، ولا الأنبياء؛ لأنَّه كيف يمكن للطبيعة المخلوقة أن ترى الطبيعة غير المخلوقة؟ والنص الثاني الذي اعتمد عليه الأب توما الأكونيني مقتبس من ديوناسيوس الأريوبياغي: [لا يمكن أن يُعرَفَ بواسطة الحواس، ولا في صورة، ولا بواسطة فكره، ولا بالفعل، ولا بالمعرفة^٥.]

يرى الأب توما الأكونيني أن الكلمات السابقة تعني عدم إدراك جوهر الله، وليس عدم رؤية أو معرفة الطبيعة الخاصة بجوهر الله، فالحقيقة المطلوبة يمكنها أن ترى جوهر الله، لكنها لا تقدر أن تفهمه أو تدركه.

اهتم الدارس الجزويني Gabriel Vasquez في القرن السادس عشر (١٥٥١-١٦٠٤) بدراسة "رؤيه الله"، فأظهر أن ما يقصده القديس يوحنا الذهبي الفم لا يعني رؤية الله، بل التعرف عليه في جوهره المطلق، أي إدراكه كما هو بطريقه واضحة وكاملة وبديهية.

رأى هذا الدارس أنه يمكن للخلق العاقلة أن تعرف الله كما هو، وأن الآباء يوحنا الذهبي الفم وباسيليوس الكبير وغريغوريوس النيسي وكيرلس الكبير وثيودوريت ويوحنا الدمشقي وغيرهم مخطون، وكذلك آباء الغرب أمبروسيوس وجيرروم وبريماسيوس وإيسيدور أسقف Seville.

^١ راجع للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم، ١٩٨١.

^٢ لم تشرك فيها الكافلش غير الخلقانية

^٣ Summa contra Gentiles, Book I, Question 1.

^٤ In Joan. hom 15.

^٥ De divinis nominibus, ch. 15.

استخدم الدارس الجزوئي الأب Deigo Ruiz de Montoya نفس النصوص التي استخدمها Vasquez، لكنه رفض الاتهام الموجه ضد الآباء، قائلاً بأن الآباء يرفضون أن الخليقة تفهم الله بالفهم الخاص بالله وحده.

يرى Vasquez أن الخليقة العاقلة قادرة على التعرف على الله كما هو، بينما يرى Ruiz أن العلم الإلهي وحده له فهم الله كما هو. هنا التمييز بين المعرفة والفهم دقيق للغاية.

يرى Ruiz أن الله وحده له الفهم الكامل لجوهره المطلق، وأن الخليقة العاقلة تتمتع بالرؤية الطوباوية دون أن تدرك الله في جوهره المطلق، خاللها نعم بالجوهر الإلهي، لكنها لا تعطينا نفس فهم الله في كماله وأعماقه وكليته.

عدم إمكانية رؤية الجوهر الإلهي

قيل إنه لا يقدر أحد أن يرى الله ويعيش (خر ٣٣: ٢٣-٢٠؛ قض ٦: ٤٢؛ إش ٩: ١٣؛ مل ٩: ٤٥؛ إش ٦: ٢٢). قيل إن الله يسكن في ظلمة (مز ١٨: ١١)، والكلمة العبرية تعني "سراً"؛ فإنه يسكن في السحاب (مز ٩٧: ٢)، حيث يعبر السحاب عن طبيعة الله غير المذكورة. وقد أكد العهد الجديد نفس الفكرة (١ تي ٦: ١٦؛ ١ يو ٤: ١٢؛ ١ يو ١: ١٨؛ ٤٦: ٦؛ مت ١١: ١١؛ لو ١٠: ٢٢).

إمكانية رؤية الله

بينما يؤكد الكتاب المقدس بعهديه عدم إمكانية الإنسان لرؤية الجوهر الإلهي، تمنع إشعاعات النبي بالحضور الإلهية (إش ٦٣: ٩)، وصارع يعقوب مع الله (تك ٣٢: ٣٠-٢٤)، وتحدث معه موسى وجهاً لوجه، فأضاء وجهه من بهاء مجد الله (خر ٣٣: ١١؛ تث ٣٤: ١). ويطلب المرتّل من الله أن يشرق بنور وجهه عليه (مز ٤: ٦؛ ٣١: ١٦ السخ)، وفي العهد الجديد (رو ١: ١٩-٢٠؛ ١ كو ٢: ٢-٨؛ ١٣: ٤١٢؛ ١ يو ٣: ٣-١).

الكلمة الحقيقي ورؤيه الآب

الكلمة الحقيقي والابن الوحد الجنـس وحده يرى الآب، رؤية الواحد معه في ذات الجوهر. لا يضارعه في هذا كائن ما على الأرض أو في السماء. ليس من مجال للمقارنة

بينه وبين إبراهيم أب الآباء أو موسى مستلم الشريعة أو غيره من الأنبياء، ولا وجه للمقارنة بينه وبين آية طغمة سماوية.

موسى العظيم في الأنبياء رأى شبه الله (عد ١٢: ٨)، لكنه لم يستطع أن يرى وجهه (خر ٣٣: ٢٠).

إنه الآبن الوحيد الحقيقي القائم بذاته في حضن الآب، أي في أعماقه، الغير منفصل قط عنه، موضع سروره، قادر أن يعلن عنه ويكشف عن أسراره الإلهية وخطبه الفائقة. هكذا نلنا في المسيح يسوع إعلان واضح عن الآب الذي لم يره أحد قط. هذه هي النعمة، وهذا هو الحق الإلهي الذي صار لنا في المسيح، وهي "المعرفة".

الله روح، فلا يقدر الجسد على معاينته، لذا تجسد الآبن ليهينا الميلاد الجديد الروحي، فنرى ذاك الذي لا يرى (عب ١١: ٢٧)، ونحيا به. هو وحده يفتح الختوم (رو ٥: ٩) لنறعرف على أسرار الله.

رؤيه الله عند الأب ثيوفيلس الانطاكي

كتابات القرنين الأول والثاني

حملت الكنيسة الأولى ذكريات ملموسة لشخص السيد المسيح عاشها معه التلاميذ. فقد رأوا الرب وسمعوا صوته ولمروا قوته. وبحلول الروح القدس عليهم انكشف لهم الكثير من أسراره التي لم يكونوا يدركونها أشاء وجود الرب بالجسد معهم. هذه الذكريات التي تحولت إلى "حياة حاضرة"، يمارسها التلاميذ ويسلمونها "خبرة حية" في حياة تلاميذهم، ألهيت قلب الكنيسة كلها نحو السيد المسيح، مشتاقة أن ترى عريسها آتياً على الساحب، يلتقي بها وتلتقي هي معه.

هذا ما اتسمت به كنيسة المسيح، حتى يدعوها اللاهوتيون "الكنيسة الأخروية أو الإسخاتولوجية"، لها صبغة سماوية، تحمل سمة الحياة الأخرى، تتوقع بين الحين والأخر انطلاقها مع عريسها إلى الأبد، إنها لا تكف عن الترنم باستمرار: "نعم. تعال أيها رب يسوع". إنها تنتظره، تزيد أن تراه كما هو، وتبقى معه إلى الأبد، تشاركه مجده! هذا هو لعن الكنيسة الأولى، في عباداتها وليتورجياتها وتسايمها وكرازتها وكتاباتها. كما يظهر ذلك بوضوح في كتابات الآباء الرسوليين وفي أكثر كتابات القرنين الأول والثاني.

إننا نتوقع من الآباء الأولين أن يسجلوا لنا فكر الكنيسة الأخروي، يطلبون معاينة الله، لا في هذا العالم، بل في الحياة الأخرى، رؤية كاملة مطوبة ينعم بها المختارون.

الأب ثيوفيلس الانطاكي¹

في المنتصف الثاني من القرن الثاني بعث الأب إلى صديقه الوثني أوتوليكتس ثلاثة كتب يدافع فيها عن المسيحية، وقد سجل لنا في الفصول السبعة الأولى *Autolyctus* من الكتاب الأول عن إمكانية رؤية الله، إذ سأله صديقه: أرنى الله؟

¹ *Theophilos of Antioch to Autolyctus PG6:1024-36.*

لقد حدثه عن الإعلان الأخروي حيث يستطيع الإنسان أن يرى الله الذي له وحده عدم الموت، إذ يحمل الإنسان عدم الفساد في جسده كما في نفسه. هذه الرؤية الأخروية يتلزم التمهيد لها برواية إيمانية ينعم بها الإنسان في هذه الحياة الحاضرة حين يحمل نقاوة داخلية، خاللها يرى بصيرته الداخلية الأمور التي لا ترى.

[إن قلت: "أرني إلهك"، أجبتك: "أرني أنت ذاتك، وأنا أريك إلهي".]

أعطي البرهان على أن عيني نفسك تستطيع أن تنظر، وأنني قلبك أن تسمعا. فكما أن الذين يتطلعون بعيني الجسم يدركون الأشياء الأرضية، وما يخص هذه الحياة، ويميزون في ذات الوقت بين الأشياء المختلفة؛ بين النور والظلمة، بين الأبيض والأسود، المشوه والجميل؛ الأمور المناسبة حسناً والمتماثلة وتلك غير المنسجمة معًا وال بشعة؛ أو الأشياء الرهيبة والمبتوة، هكذا بنفس الطريقة أيضًا فبحاسة السمع نميز ما هي الأصوات الحادة العنيفة والأصوات الرقيقة. الأمر ذاته بالنسبة لعيني النفس وأننيها، فبها نرى الله. فإن الله ينظره القادرون على رؤيته، الذين لهم عيون أنفسهم مفتوحة. فالكل لهم أعين، لكن البعض أعينهم معتمة (عليها سحابة)، فلا تنظر نور الشمس. لكن هذا لا يعني أن نور الشمس غير مشرق، لأن العميان لا يرون.

[يا إنسان، إن عيني نفسك قد انطمستا بخطاياك وشرورك.]

هكذا يليق بالإنسان أن تكون نفسه نفية كمرأة مقصولة. فمتي وجّد صدأ على المرأة، لا يمكن رؤية وجه إنسان في المرأة. هكذا متى وجدت خطية في الإنسان لا يقدر أن يرى الله.

أرني نفسك أنك لست زانياً ولا فاسقاً، ولا تُفسد الأولاد، وأنك لست متغطرساً ولا مفترضاً ولا شهوانياً أو حاسداً ولا متكبراً أو مت shamاخاً، وأنك لست محباً للشجار ولا طماعاً ولا عاصياً لوالديك، وأنك لا تبيع أطفالك، فإن الله لا يعلن عن نفسه لمن يفعلون هذه الأمور ما لم يتطهروا أولاً من كل دنس. كل هذه الأشياء تدخل بك إلى الظلمة، ذلك كما تنصاب عينان بغشاوة تمنع رؤية نور الشمس، هكذا تفعل الشرور يا إنسان، فتدخل بك في ظلمة ولا ترى الله¹.

ماذا يرى الإنسان خلال "الرواية الإيمانية الحاضرة"؟ إنه لا يرى تأملات عقلية، ولا يتوقع رؤى منظورة. لكنه - في رأي الأب ثيوفيلس - يرى الله خلال أعمال محبته

¹ Theophilus of Antioch to Autolycus, Chapter 2.

وعناته وتدبره للحقيقة كلها، بل للإنسان ذاته. بمعنى آخر، لا يلتقي المؤمن مع الله ليتعرف على جوهر الله، ولا ليشبع فكره بلاهوتيات نظرية وفلسفية، إنما يلتقي معه لقاء شخصياً، حيث يدخل في "خبرة شخصية مع الثالوث القدس".

أقول لي: يا من ترى الله، هل تظهر لي ما هي هيئة الله؟
اسمع يا إنسان. هيئة الله لا ينطق بها، ولا يمكن شرحها، إذ لا تراها الأعين
الجسدية، إنه في المجد غير مدرك، وفي الظلمة لا يُسبّر خوره، وفي العلو لا يُدرك،
وفي القوة لا يُقارن، وفي الحكمة منقطع النظير، وفي الصلاح لا يُضاهى، وفي الحنوت
لا يُنطق به.

عندما أقول عنه إنه "تور"، أنت عمله؛

إن دعوته "الكلمة"، أدعوه سلطانه؛

إن دعوته "عقلًا"، أتحدث عن حكمته؛

إن قلت إنه "روح"، أتحدث عن نسمته...;

إن دعوته "العناية"، أشير إلى صلاحه؛

إن دعوته "الملائكة"، أشير إلى مجده؛

إن دعوته "الرب"، أشير إليه كديانٍ؛

إن دعوته "الديان"، أشير إليه كعادل؛

إن دعوته "أب"، أتحدث عنه كمصدر كل شيء؛

إن دعوته "تاراً"، أشير إلى غضبه...¹

كأنه يقول إني أدعو كل شيء، إذ أختبره في عمله وسلطانه وحكمته ونسمته
وصلاحه ومجده ودينونته وعلمه وأبوته وتأديباته الخ. أعرفه معرفة حقيقة بالتعامل معه، أو
بالآخرى بتعامله هو معي!

عاد الآب ثيوفيلوس يؤكد في الفصل الخامس أن الله وهو غير المنظور يُرى خلال
أعماله المنظورة، معطينا أمثلة على ذلك. فقائد المركب الذي وإن كان لا نراه نتعرف عليه
من حركات السفينة وإبحارها، والملك وإن لم نره، لكننا نعرفه من حاشيته وأعماله المدنية
والحربية، والنفس البشرية غير المنظورة تراها خلال عملها المحيي للجسد، إذ يقول:

¹ *Theophilus of Antioch to Autolyctus, Chapter 3.*

[كما أن النفس التي في الإنسان، وهي غير منظورة، تدرك خلال حركات الجسد التي تحييه، هكذا الله غير المنظور بالأعين البشرية يمكن رؤيته خلال عنايته ومن أعماله].

أخيراً، يقدم لصديقه العلاج، أن ينقدم الله "الطيبب" الذي يستطيع أن يشفى عيني نفسه. لعله يقصد بذلك "المعمودية" حيث ينعم بالاستقرار الداخلية. يطلب منه التقدم بإيمان الله حتى يقرر أن يبلغ كمال الرؤية الأخروية بعد نهاية الأزمنة.

[إن أردت تقدر أن تشفى!

سلم نفسك بين يدي الطبيب بثقة، فيزيل غشاوة عيني نفسك وقلبك.

من هو الطبيب؟ إنه الله، الذي يشفى ويحيي بكلمته وحكمته...

عندما تخلع عنك الفاسد وتتبس عدم الفساد، ترى الله بحق. فإن الله يقيم جسدك في عدم موت مع نفسك، وإن تصير غير قابل للموت، ترى "الواحد الذي له عدم الموت"، إن كنت تؤمن به الآن¹.

ترى في الأبدية ذاك "الواحد الذي له عدم الموت" (١٦:٦)، وذلك بصيرورتنا غير مائتين لا بالطبيعة كائنة، لكن كهبة وعطية إلهية.

¹ *Theophilus of Antioch to Autolyctus, Chapter 7.*

رؤية الله

عند القديس إيرينيؤس

يبرز القديس إيرينيؤس أهمية رؤية الله عند المؤمن بقوله: "إن مجده هو الإنسان الحي، وحياة الإنسان هي رؤية الله".

الرؤية والنمو الروحي

يقول القديس إيرينيؤس [أن ترى الله هو أن تكون في النور، ومشاركة الوضوح. بنفس الطريقة أن ترى الله هو أن تكون فيه، ومشاركة سمو الواهب الحياة. لذلك فإن الذين يرون الله يشاركونه الحياة^١.]
[صار الكلمة إنساناً، لكي يصير الناس آلهة (أي يتمتعون بالحياة الجديدة المقامة مع المسيح، والنضائل كهبات إلهية)^٢.]

رؤية الله وعمل الثالوث فيما

مثل القديس ثيوفيلس يربط القديس إيرينيؤس بين الفكر الأخروي والنمو الروحي. يتمتع المؤمن بالرؤية الإلهية خلال "رُفعه إلى حياة الله"^٣، أي خلال عمل الثالوث القدس في حياة المؤمن، وذلك باتحاده مع الآب خلال تجسد الابن وقبول الروح القدس فيه. إن كان الآب لا يره أحد ولا يقدر أن يعرفه، فقد تجسد الكلمة الإلهي أو الابن الوحد الجنسي لكي يخبرنا عنه ويحملنا إليه فنراه. قيل: "الله لو يره أحد فقط، الابن الوحد الذي في حضن الآب هو خبر"^٤ (يو 1: 18). كما يقول: "ليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن لراد الابن أن يُعلن له" (مت 11: 27؛ لو 10: 22). هذا وقد أرسل الابن روحه القدس لكي يهينا العضوية في جسد الابن، ويجدد طبيعتها، فنصير ليقونة روحية للابن، بهذا نتمتع برؤية الله، الثالوث القدس.

^١ Adv. Haer. 4:20:7.

^٢ Adv. Haer. 4:2:5.

^٣ Adv. Haer.:Pref.

^٤ Adv. Haer. 5:9:1.

١. عمل الآب فيه: يقول القديس إيرينيتوس إن الآب هو طبيعة الابن غير المنظورة، والابن هو طبيعة الآب المنظورة^١. فإذاً أعلن الابن عن نفسه قدم معرفة عن الآب. بـ. أعلن الابن عن نفسه عندما صار إنساناً.

جـ. بدون عمل الروح القدس يبقى الإنسان جسداً أو حيوانياً، لا يحمل صورة الله في جسده، ولا يتقبل الشبه له خلال الروح^٢. بمعنى آخر يهبي الروح القدس المؤمن للتشبه بابن الله، فـيُحضره الابن للأب، وـيمنحه الآب عدم الفساد الذي للحياة الأبدية، أي في الجسد الروحاني، فـيدخل إلى رؤية الله^٣.

أنواع الرؤية

يميز القديس إيرينيتوس بين ثلاثة أنواع من الرؤية، وإن كان كل منها مشتمل في الآخر.

١. الرؤية النبوية خلال الروح القدس. كالرؤيا التي نقلها موسى النبي على الصخرة، إشارة إلى رؤيته خلال التجسد (صخرة مجده البشري). وهي رؤية رمزية، لا يرى وجه الله الحقيقي، بل يظهر له بطريقة سرائرية، حيث يبدأ الإنسان يرى الله. لقد طلب موسى النبي رؤية أوضح وأكمل، تحققت له حين ظهر مع إيليا على جبل ثabor^٤.

٢. رؤية التبني خلال الابن المتجسد.

٣. رؤية الله في ملكوت السماوات وجهاً لوجهٍ في الحياة الأخرى، أو الرؤية الاسخاتولوجية. في صورة واضحة ورائعة تكشف العبارات التالية نظره القديس إيرينيتوس لرؤيه الله:

❖ النبوة هي تنبيه عن أمور مقبلة، أي طرح هذه الأمور مقدماً، وهي أن الله سيراه البشر، كقول رب أيضًا: "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨). لكن بالنسبة لعظمته ومجد العجيب "لا يرى إنسان الله ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠). لأن الآب لا يمكن إدراكه، أما من جهة حبه وحنته وسلطاته غير المحدود، فإنه حتى هذه أيضاً توهب للذين يحبونه، أي أن يروا الله، الأمر الذي تتباً عنه أيضاً الآباء.

^١ Adv. Haer. 4:3:6.

^٢ Adv. Haer. 5:6:1.

^٣ Adv. Haer. 4:20:3.

^٤ Adv. Haer. 4:20:9.

لَا يرى الإِنْسَانُ اللَّهَ بِقَدْرَاتِهِ، وَإِنَّمَا عِنْدَهُ يَشْاءُ اللَّهُ وَكَمَا يَشْاءُ.
فَبَلَّ اللَّهُ صَاحِبُ سُلْطَانٍ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ.
نُظُرٌ فِي ذَلِكَ الْحَينِ بِالْحَقِّ نَبُوِيًّا بِالرُّوحِ،
وَوَرَى بِالْتَّبَنِي بِالْأَبْنِ.

وَسَيِّرٌ مِّنْ جَهَةِ الْأَبِ فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ.
بِالْحَقِّ يَهُبِي الرُّوحُ إِلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ، وَالْأَبُونَ يَقُولُهُ لِلْأَبِ. بَيْنَمَا الْأَبُ
أَيْضًا يُنْهِي عَدَمَ الْفَسَادِ لِلْحَيَاةِ الْأَبْدِيَّةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَتَعَنَّعُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ مِّنْ جَهَةِ حَقِيقَةِ
رَوْيَتِهِ اللَّهُ.

كَمَا أَنَّ الَّذِينَ يَنْظَرُونَ النُّورَ يَكُونُونَ هُمْ أَنفُسَهُمْ دَاهِنِيَّا لِلنُّورِ، وَيَشْتَرِكُونَ فِي
بَهَائِهِ، هَكُذا أَيْضًا الَّذِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَكُونُونَ فِي اللَّهِ، وَيَتَقْبَلُونَ ضِيَاءَهُ.
لَكُنْ ضِيَاءَهُ يَهُبُّهُمُ الْحَيَاةَ وَالثَّنَاطِ، لَذُكْرُ فَإِنَّ الَّذِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَتَقْبَلُونَ الْحَيَاةَ.
لِهَذَا السَّبَبِ فَإِنَّ ذَلِكَ الَّذِي فَوْقَ الإِدْرَاكِ، وَبِلَا حَدُودٍ، وَغَيْرِ الْمَنْظُورِ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
مَنْظُورًا وَمَدْرَكًا، وَذَلِكَ فِي حَدُودِ قُدْرَةِ الَّذِينَ يَقْبَلُونَهُ، فَيَحِيِّي الَّذِينَ يَقْبَلُونَهُ وَيَرَوْنَهُ
بِالْإِيمَانِ...
سُوفَ يَرَى الْبَشَرُ اللَّهُ لَكِي يَحِيُّوا، إِذْ يَصِيرُونَ خَالِدِينَ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا، وَيَبْلُغُونَ حَتَّى
إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ كَمَا سَبَقَ فَقْلَتْ، قَدْ أَعْلَنَ رَمْزِيًّا بِوَاسْطَةِ الْأَثْيَاءِ، أَنَّ اللَّهَ حَتَّمًا سَيِّرٌ
بِوَاسْطَةِ النَّاسِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ رُوحَهُ فِيهِمْ، وَيَنْتَظِرُونَ مَجِئَهُ بَصِيرٍ¹.

رُؤْيَا اللَّهِ عَطِيَّةُ الرُّوحِ لِلْمُؤْمِنِينَ

إِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ بِنَوْلَهُ وَعْدَ الرُّوحِ يَصْرُخُ الْآنَ: «يَا أَبَا، أَبَا»، مَاذَا يَكُونُ حَالُهُ
عِنْدَمَا يَرَاهُ وَجْهًا لِوَجْهِهِ، عِنْدَمَا تَأْتِي كُلُّ الْأَعْضَاءِ مَعًا فِي حَشْدٍ عَظِيمٍ، وَيَرْنَمُونَ تَسْبِحةَ الْغَلْبَةِ
تَكْرِيمًا لِذَلِكَ الَّذِي أَقْامَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ، وَوَهُبُّهُمُ الْحَيَاةُ الْأَبْدِيَّةُ!²

رُؤْيَا اللَّهِ هِيَ إِاعْلَانٌ يَتَحْقِقُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ.
لَا يَمْكُنُ التَّعْرِفُ عَلَى اللَّهِ بِالْطَّبِيعَةِ، إِنَّمَا يَتَحْقِقُ ذَلِكَ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَعْرُوفًا،
وَذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ حَبَّهُ وَتَنَازُلِهِ.

¹ Adv. Haer. 4:20:5-6.

² Adv. Haer. 5:8:1.

لا يقدر الإنسان أن يرى الله، لكن إذ يريد الله أن يراه المختارون من البشر، يتحقق ذلك عندما يشاء وكما يشاء هو^١.
بالطبيعة لا يُدْنِي من الله، وإنما بالنعمة يُعَن عن ذاته.

التقدم في الرؤية

يرى القديس إيرينيتوس أن الإنسان يتقدم في رؤيته لله حتى في الحياة الأبدية: [حتى في العالم الآتي سيعلم الله على الدوام، ويتعلم الإنسان دائمًا من الله^٢]. وأن الرؤية تختلف من شخص إلى آخر، لذا قيل: "في بيت أبي منازل كثيرة"^٣.

^١ *Adv. Haer.* 4:20:5.

^٢ *Adv. Hae Adv. Haer.* 2:28:2-3.

^٣ *Adv. Haer* 5:36:2.

رؤيه الله

عند القديس إكليمونضس السكندري

رؤيه الله ومعرفته

يعتقد القديس إكليمونضس السكندري أن هدف المسيحي (الغنوسي) هو التعرف على الله ورؤيته له^١. فابن كنا نعبر من الوثنية إلى الإيمان، يليق بنا أن نعبر من الإيمان إلى المعرفة^٢.

يقول: [الظلمة هي الجهل الذي أعمى الحق والمعرفة. لكننا إذ نقبل الاستمارة يختفي الجهل، وتصير لنا رؤية واضحة].

إتنا نرى الله في هذا العالم من بعيد كما في مرآة، وليس وجهاً لوجه، وذلك بتحليق الفكر في النقاوة بطريقة روحية غير جسدانية^٣. نعرفه بالتجرد عن كل ما يتعلق بالأجسام. ينطهر الإنسان أمام عظمة المسيح، ويتمتع بحضن الآب، فنرى الآب خالق الآباء. من ثم نتقدم إلى لحج غير المنظور بالقداسة، ونببلغ إلى معرفة معينة بضبط الكل.

[عن الذين اعتدنا إذ أزيلت عن الخطايا التي تحجب نور الروح الإلهي، صارت لنا بصيرة الروح المتحررة، التي بلا عائق، الملوءة نوراً، والتي بها وحدها تتأمل اللاهوت، فنرى الروح القدس نازلاً علينا من فوق. هذا هو التعديل الأبدي للرؤية القادرة على معانقة النور الأبدي، إذ الشبيه يحب شبيهه، والمقاتس يحب من تصر عنده القدسية التي تملئ نوراً... لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب]

(أف : ٨)

الإنسان الغنوسي، إذ يحب الله الواحد الحقيقي هو الإنسان الكامل، صديق الله، وباحتل مركز الآباء. يتقبل رؤية الله بإكليلٍ فائقٍ، يتأهل للرؤية الأبدية لضبط الكل وجهاً لوجه.

¹ Stromata 2:10. PG 8:984.

² Stromata 7:10 PG 9:980-1.

³ Stromata 5:11.

يرى القديس إكليمينطوس أن الرؤية مُخصصة لأنقياء القلب، غالبية المؤمنين يعيشون على اللبن، فينالون معرفة غير كاملة، هي معرفة الإيمان البسيط. أما الإعلان الواضح للحياة العتيدة فهو رؤية "وجه لوجه"، هو طعام قوي.^١

قليلون هم الذين ينالون كمال المعرفة (الغنوصية)^٢. الرؤية التي يتمتع بها الغنوصيون أنقياء القلب هنا تجعلهم يرون ما يبدو للأخرين غير مدرك.^٣

* نعرف أنفسنا خلال الانعكاس كما في مرآة. إننا قدر ما نستطيع، نتأمل العلة الخالق، على أساس العنصر الإلهي فينا^٤.

رؤية الله عطية إلهية^٥

المعرفة العقلية عند القديس إكليمينطوس السكندري هي عطية من قبل الله، تقدم لنا بواسطة الآباء. بدون هذه النعمة يبقى البحث العقلي غير أكيد وأعمى.^٦ [الله لا يمكن البرهنة عليه، وبالتالي لا يمكن أن يكون موضوع معرفة. لكن الآباء هو الحكمة والمعرفة والحق وما يماثل ذلك يمكن وصفه وتعريفه.^٧] الآباء هو إعلان عقلي للأب، هو ختم مجد الآب، يعلمنا الحق^٨. هو صورة الله^٩، وفكرة^{١٠}، ووجهه^{١١}. هو النور الذي به نعاين الله^{١٢}. يعلن عن طبيعة الآب^{١٣}، يُدعى قوّة الله^{١٤} وذراعه^{١٥}.

لا يكف المرتّل عن التوسل إلى الله لرؤيته وجهه، وهو في هذا لا يتكل على برء الذاتي أو قدراته، إنما على وعد الله الرحيم، لهذا يصرخ: "ارحمني كقولك". كأنه يقول:

¹ *Paedagogus* 1:6 PG 8:293.

² *Stromata* 5:1 PG 9:17.

³ *Stromata* 6:8 PG 9:289-292.

⁴ *Stromata* 1:49.

⁵ راجع المؤلف كتاب آباء مدرسة الإسكندرية الأوتون، القديس إكليمينطوس: معرفة الله.

⁶ *Stromata* 5:12.

⁷ *Strom 4:* 156.

⁸ *Ibid 7:* 58.

⁹ *Ibid 5:* 94.

¹⁰ *Ibid 5:* 16.

¹¹ *Paed 1:* 57.

¹² *Prot 84.*

¹³ *Strom. 5:* 34.

¹⁴ *Ibid 7:* 7.

¹⁵ *Prot. 120.*

يبقى قلبي معدناً حتى يختبر رحمتك التي وعدتني بها، هذه التي تحملني إلى التمتع بوجهك.
يقول القديس إكليمينطوس السكندري:

【أقبل المسيح، أقبل البصيرة الداخلية، تقبل نورك حتى يمكنك أن ترى الله
والناس حسناً.】

عنبة هي الكلمة التي تهبنا نوراً، إنها ألم من الذهب والجارة الكريمة، وأشهى
من العسل والشهد^١.】

معرفة الله

ووجدت نظرة القديس إكليمينطوس الفلسفية لمعرفة الله بوجه خاص في الكتاب الخامس من "المتفرقات" *Stromata*، حيث أعطى إيماناً ورجاءً في إدراك الذهن للأمور غير منظورة، والتي لا تستطيع الحواس أن تدركها^٢. أما طريق المعرفة فيمر بمراحل ثلاثة:

أ. المرحلة الأولى، وهي مرحلة التطهير من الخطية. يليق بالإنسان لكي يتمتع بمعرفة الإلهيات أن يتخلص من أفكاره الخاطئة عن الله، التي هي ثمرة عبوديته لأهوائه الجسدية. خلال هذه الآلام يرى الإنسان في الأمور المادية هدفاً له، فيصير أبعد ما يكون عن الله.

استخدم القديس عبارات مقاربة لكلمات فيلون اليهودي السكندري: إذ يقول:
إذ التحقَّ غالبية البشر بأمور قابلة للموت كالواقع المفلاحة في الصدف، منطويين حول شهواتهم كالقتافذ أشبه بالكرة. صاروا يفكرون في الله الطوباوي غير المايت بذات التعبيرات التي يفكرون بها عن أنفسهم^٣. لهذا يليق بالبشر أن يتخلصوا من هذا الخطأ، فيتحرّزون من آلام النفس والمؤثرات الأرضية لكي يدركون الله.

ب. المرحلة الثانية هي التخلص المنطقي أو الابتعاد عن التفكير في الله بطريقه مادية جسدانية. كلمات الإنجيل لا تفهم بطريقة حرفيّة، حين يتحدث عن "يمين الله" مثلاً، لا يفهم أن الله يميناً ويساراً، بل هو فوق الزمان والمكان، فوق عالم الأسماء وفوق المفاهيم الأرضية.

¹ *Stromata*: 5:12.

² Cf. F. F. Osborn: *The Philosophy of Clement of Alexandria*, ch. 5.

³ *Strom.* 5: 68.

تحدث إكليمندس بدقة أن الله لا يمكن الحديث عنه، فهو بلا سُكُل ولا اسم وأن ما لقب به من أسماء مثل "الواحد أو الصالح أو العقل أو الوجود أو الآب أو الخالق أو الرب" هذه كلها أسماء غير دقيقة لا يمكن أن تصف الأبدى. لأن أي اسم يفقده وحده وينزل به إلى عالم الأمور المحدودة العادية، لكن هذه الأسماء أعطيت لنا من أجل قصورنا، حتى نقدر أن ندرك سلطان قدرته^١.

الله فوق كل لغة، لهذا إنما نتحدث عنه خلال الرموز، فلا نفهم الكلمات عنه بطريقة حرفية بل "غنوسيّا".

جـ. المرحلة الثالثة هي مرحلة الرؤية. معرفة الله هبة إلهية، لا يمكن بلوغها بدون نعمته. حفـا إن الفلسفة سندنا، لأنها تعرفنا ما هو ليس الله، وهو أمر هام، به تزول الأفكار الخاطئة التي في أذهاننا والتي في أذهان الآخرين. أما إدراك الله، فلا يمكن بلوغه إلا بالنعمـة الإلهية وحدها، فوق حدود الفكر المنطقي. هكذا يعبرـنا من الفلسفة إلى الدين، إذ يرىـ أن طرـيق المعرفـة الإلهـية هو الاتـحاد مع اللـوغوسـ المـولـود من الآـب، اتـحادـ معـ السيدـ المسيحـ في القدـاسـةـ. فإنـ اللهـ غيرـ المعـروـفـ يـصـيرـ مـعـروـفـاـ خـلاـلـ اللـوغـوسـ. منـ يـرـفـضـ نـعـمةـ اللهـ ويـتجـاهـلـ اللـوغـوسـ يـبـقـيـ اللهـ باـنـسـبـةـ لـهـ غـيرـ معـروـفـ...ـ

إنـ اللـوغـوسـ هوـ سـرـ المـعـرـفـةـ الإـلـهـيـةـ، التيـ نـعـمـ بـهاـ خـلاـلـ الـاتـحادـ معـهـ وـتـمـعـنـاـ بـالـحـيـاةـ الـجـديـدةـ الـتـيـ لـنـ فـيـهـ. لهـذاـ يـقـولـ فـيـ الـكـتـابـ السـادـسـ مـنـ "الـمـتـفـرـقـاتـ"ـ إـنـ مـعـرـفـتـاـ وـفـرـدوـسـنـاـ الرـوـحـيـ هوـ مـخـلـصـنـاـ نـفـسـهـ الـذـيـ فـيـ نـزـرـعـ بـعـدـ أـنـ نـقـلـنـاـ مـنـ الـحـيـاةـ الـعـيـنةـ إـلـىـ التـرـبةـ الـصـالـحةـ. الـرـبـ نـفـسـهـ هوـ مـعـرـفـتـاـ. يـلـيقـ بـالـغـنـوـسـيـ أـنـ يـنـقـلـ إـلـىـ السـيـدـ الـمـسـيـحـ نـفـسـهـ لـكـيـ يـزـرـعـ فـيـهـ. يـقـطـلـ مـنـ جـذـورـهـ الـقـدـيمـةـ لـيـأـصـلـ فـيـ الـمـسـيـحـ، بـهـذاـ يـصـيرـ خـلـيقـ جـدـيدـ، يـتـحرـرـ مـنـ الـإـنـسـانـ الـعـيـقـ وـالـأـمـورـ الـعـيـقـةـ لـيـدـخـلـ الـحـيـاةـ الـجـديـدةــ.

الإيمان والرؤيا واضحة

"وـأـمـاـ الإـيمـانـ فـهـوـ الثـقـةـ بـمـاـ يـرـجـيـ وـالـإـيـقـانـ بـأـمـورـ لـاـ تـرـىـ"ـ (عـبـ ١١: ١ـ).

* لا ينقص الإيمان شيء، فهو تمام وكمال في ذاته....

حيـثـ يـوـجـدـ الإـيمـانـ يـوـجـدـ الـوـعـدـ. وـتـنـامـ الـوـعـدـ هـوـ الـراـحةـ. بـجـاتـ هـذـاـ نـتـائـيـ المـعـرـفـةـ خـلاـلـ الـاسـتـارـةـ، وـنـهـاـيـةـ الـمـعـرـفـةـ هـيـ الـراـحةـ...

¹ Strom. 5: 11: 71; 5: 12: 81, 4: 18: 166; 2: 2: 6.

² Osborn, ch 12.

هكذا إذن كما أن عدم الخيرة ينتهي بنوال خبرة، والتيه بإيجاد مخرج واضح، هكذا يجب أن يتلاشى الظلم بالاستمارة. الظلم هو الجهل. خلاه نسقط في الخطية، ونجرب عن الحقيقة تماماً.

المعرفة إذن هي الاستمارة التي تلاقاها، فيختفي الجهل. إنها تعطينا رؤية واضحة...

سريراً ما تتحل رباطات الجهل خلال الإيمان البشري والنعمنة الإلهية، وتمحي خطاباتنا بدواء الله الذي هو معمودية الكلمة. فنفصل من كل خطاباتنا، ولا نعود بعد فنكون مرتكبين في الإثم. لا تعد شخصياتنا كما كانت سابق عهدها قبل القتل. فإن المعرفة تبرز للوجود جنباً إلى جنب مع الاستمارة، ففي لحظة نسمع نحن غير المتعلمين أننا صرنا تلاميذ المسيح... فإن إرشاد الروح القدس يؤدي إلى الإيمان، ونتعلم الإيمان مع العمال. هذا الإيمان هو الخلاص الجامع الواحد للبشرية!^٣

النمو في الإيمان وكمال المعرفة^٤

يوجد إيمان عام لجميع المؤمنين، هو إيمان البساطة ذهنياً، هذا الإيمان هو أشبه باللين، المعرفة غير الكاملة. لكن قليلاً لا يكتفون باللين، بل يطلبون الطعام القوي^٥، يدخلون من إيمان إلى إيمان، ومن عمق إلى عمق، فيكون لهم الإيمان في حياتهم أشبه بحبة خردل تدخل بالنفس إلى الحياة الجديدة، وتنمو من يوم إلى يوم حتى تصير شجرة عظيمة جداً، عليها تسفر النفس في كمال المعرفة (الغنوسي) حيث تعم بالحياة السماوية وتتمنى بالإعلان الواضح للحياة العتيقة^٦، وتكون لهم رؤية "الوجه للوجه". بمعنى آخر يعبر خلال الإيمان إلى كمال المعرفة، التي هي فوق الإيمان.

هذا هو هدف الغنوسي أن يتعرف على الله (الحق) ويراه وجهًا لوجه، أي يعبر إلى كمال المعرفة من خلال الإيمان، وذلك خلال خبرة الحياة النقية والتأمل الدائم. إن كنا قد عبرنا من الوثنية إلى الإيمان، فيليق بنا أن نعبر من الإيمان إلى المعرفة، لترى الله

^١ المؤلف: لقاء يومي مع إلهي خلال خبرات آباء الكنيسة الأولى، ٢٠٠٣، ١٣، ينال.

^٢ راجع للمؤلف كتاب "آباء مدرسة الإسكندرية الأولون"، القديس إكلينيكتس: الإيمان.

^٣ Paed 1: 6.

^٤ Strom 5: 3.

^٥ Strom 2: 10.

^٦ Strom 7: 10.

ونعرفه. هذه المعرفة هي هبة إلهية نتلقّبها خلال الابن، وذلك بقبولنا إياه وتشبيهنا به؛ أي خلال نقاوة القلب، نعيين الله وندرك ما يبدو للأخرين غير مدرك.^١

بالابن ننعم بالحب، فندرك الله الذي هو حب، لأن الشبه يعرف بالشبه^٢. فالله غير المنظور لا يدركه المنظور، والروحي لا يدركه المادي، والمنظم لا يدركه المشوش. لذلك فإن غير المؤمن يبقى أعمى وأصم في إدراكه الحق، أمّا الذي يدخل بالإيمان إلى الحياة الطاهرة الروحية المنظمة فيعرف الحق.

نختّم حديثنا عن رؤية الله عند القديس إكليموندس السكندري بقوله: [ماذا يطلب الإنسان بعد أن ينال النور الذي لا يُدنى منه؟]^٣

^١ Strom 6: 8.

^٢ Strom 5: 13.

^٣ راجع تفسير أني ٦: ١٦ في سلسلة "من تفسير وتأملات الآباء الأولين".

رؤيه الله عند العلامة أوريجينوس

معاينة الله وملائكته^١

كتب Jean Daniélou: [اتفاق سلسس (كلسس) Celsus] مع أفلاطون، بأن رؤية الله هي في متناول الإنسان، وإن كان ذلك يستلزم جهداً عظيماً، وامتيازاً للآلة. أما أوريجينوس فيرفض كلاً الافتراضين^٢.

نحن سنعain الله الآب وجهاً لوجه، إذ سنكون "روحًا واحدًا مع الرب". بهذا المعنى فقط يعتقد أوريجينوس أن عمل الفداء والوساطة سوف يكون له نهاية.

يؤكد أوريجينوس الحقائق التالية:

- ١ - لا يمكن معاينة الله أو ملائكته، إلا من خلال قلب نقى.
- ٢ - هذه المعاينة هي عطية الإلهية، توهب لنا وفقاً لمسيئته. فإله وملائكته متواجدون معنا، لكننا لا نراهم. فالنعمنة الإلهية تجعل الأبرار يعاينون الله بواسطة بصيرتهم الداخلية.
- ٣ - حتى وإن عاين الإنسان الله، فلن يمكنه رؤيته كما هو.

* إن كنتم تصدقون أن بولس قد أخطف إلى السماء الثالثة، وإلى الفردوس، حيث سمع كلمات لا ينطق بها، ولا يسوع لإنسان لن يتكلم عنها^٤ (كو ٢: ٤، ١٢)، فسوف تبيّقون وبالتالي أنكم ستتعرفون على أمور أكثر وأعظم مما كشف ليولس، والتي هبط بعدها من السماء الثالثة. أما أنتم فلن تهبطوا، إذا ما حملتم الصليب وتبعتم يسوع، رئيس كهنتنا، الذي اجتاز السماوات (عب ٤: ١٤). إن كنتم لا ترتدون عن إتباعه، فإنكم تجتازون السماوات، مرتفعين، لا فوق الأرض وأسرارها فحسب، بل وفوق السماوات وأسرارها أيضاً^٣.

^١ The author: School of Alexandria, Book 2: Origen, N.Y., 1995, p. 318f.

^٢ Jean Daniélou: Origen, NY 1955, p. 107.

^٣ Exhortation to Martyrdom, 17.

﴿ تلاحظ أنه إذ جاء الرب إلى إبراهيم، كان في صحبته ملائكة. أما بالنسبة للوط فقد أتاه الملائكة وحدهما. فماذا قال له؟... "أرسلنا الله لنهاك هذا المكان" (تك ١٩: ١٣). لقد استقبل لوط من جاءوا للإهلاك، لكنه لم يستقبل من جاء للخلاص. أما إبراهيم فقد استقبل من جاء بالخلاص، بالإضافة إلى من اعتزموا الإهلاك^١.

﴿ "بارك الرب إسحق"، كما قال النص، "وسكن عند بئر لحي رئي - أي الروية (تك ٢٥: ١١)، كانت تلك هي حصيلة البركة التي منحها الله لإسحق أن يسكن عند بئر "الروية". هذه بركة عظيمة لمن يدركها. ليت الله يمنحني هذه البركة، حتى أصير مستحفاً للسكنى "عند بئر الروية"^٢.

﴿ من لا يأتي إلى الكنيسة إلا فيما ندر، ومن لا يستقي من ينابيع المكتوب إلا نادر، ومن يلقي عن ذهنه كل ما استمع إليه بمجرد خروجه وانشغاله في أمور أخرى، فهذا الإنسان لا يسكن عند "بئر الروية". هل تؤذ مني أن أعلمك بمن لا يتحول أبداً عن "بئر الروية"^٣ إله الرسول بولس، الذي قال: "تحن جميعاً ناظرين مجده الرب بوجه مكشوف" (٢ كو ٣: ١٨)^٤.

﴿ ليست معاينة الله مادية، بل هي ذهنية وروحانية... لذلك فقد حرص المخلص على استخدام الكلمة الصحيحة عندما قال: "لا أحد يعرف الآب إلا الآباء" ... ولم يقل يعلين ومرة أخرى، قلّوْلنك الذين متّحوا أن يعاينوا الله، وهبّهم "روح المعرفة" وروح "الحكمة"، حتى يكون لهم - بواسطة الروح ذاته - أن يعاينوا الله (إش ١١: ٢)^٥.

﴿ ليس العضو الذي نعرف به الله، هو العين الجسدانية، بل العين الذهنية، إذ هي ترى ما هو شبه صورة الخالق، وتكتسب بالتدبر الإلهي القدرة على معرفته.

﴿ الله نور (إش ٦٠: ١٩)، ونار أكلة (اث ٤: ٢٤)، هو نور للأبرار، ونار للخطاة... بدون رحمة الله ومعونته لن يقدر أحد أن يعاين وجهه، لأن الله يظهر ذاته لذاك الذي يطلب الرحمة.

¹ In Gen. hom. 4:1 (Cf. Heine).

² In Gen. hom. 11:3 (Cf. Heine).

³ In Gen. hom. (Cf. Heine).

⁴ Comm. on Song of Songs 3.

⁵ Contra Celsus 7:33.

على أي الأحوال، لم ينكر الكتاب المقدس أن أحداً رأى الله (يو 1: 18)، إنما قيل
إن الله يتراهى للأبرار^١.

❖ والآن، فحتى لو وجدنا مستحقين لمعاينة الله بذهتنا وقلبنا، فنحن لا نعاينه كما هو، بل
بقدر ما يصير بالنسبة لنا من قبيل عنايه بنا^٢.

❖ حتى لو وجدنا مستحقين لمعاينة الله... فلن نعاينه كما هو، بل كما (يُلام) ذاته
لنا^٣.

يعلق العلامة أوريجينوس^٤ على تعبير الإنجيلي: "فظهر له ملك الرب وافقاً عن
يمين مذبح البخور" (لو 1: 11)، بقوله إن الإنسان إذ له جسد كثيف لا يقدر أن يعاين
الكائنات الروحية والإلهية، ولا أن يشعر بها ما لم تظهر له. لأن ظهورات الله وملائكته
تتوقف على إرادة الله ورغبته أن ترى، فالله حاضر معنا، وأيضاً ملائكته ومع ذلك
لا نراهم. فمن كلماته:

❖ ظهر الرب لإبراهيم ولأنبياء آخرين حسب نعمة الله، فليست عين إبراهيم الروحية
(الداخلية) هي علة الرؤيا للرب، إنما نعمة الله هي التي وهبت له ذلك.

بين المعرفة والإيمان

❖ معرفة الله لا تضفي مجرد الإيمان به، بل تشير إلى ما هو أبعد من ذلك. توجد مثلاً
الآية: "ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس، فهو يكلم به الذين في الناموس" (رو 3: 19)... بهذا فإن الآية الثالثة: "كُفُوا واعلموا أنني أنا الرب" (مز 46: 10) كتبت للذين
هم في الناموس. إذن من يستطيع أن يعارض أن هذا الكلام كتب لأناس يؤمنون بالله
الخلق؟ فمن الاستحالة أن يعرف (يعلم) الإنسان الله ما لم يكف (عن شروره) وبين
عقله. لأن أولئك الذين يعرفون الله يرونها بأعين نقية، استحقوا هذه النعمة لأنهم قاموا
بتبنية قلوبهم. وذلك كما شهد المُخلص، قائلاً: "طوبى للأنبياء القلب، لأنهم يعاينون
الله" (مت 5: 8) ...

^١ القمص تادرس يعقوب ماطي: المزمور المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولذتها، ١٩٩٦.

² Comm. on Matt. 17:19 on 22:1.

³ Comm. Matt 17. 17ff.

⁴ In Luc. hom 3.

الإيمان بالله ليس هو معرفة الله، ففي استطاعة الإنسان أن يؤمن بالله ولا تكون لديه في نفس الوقت أية معرفة بمن يؤمن به. فلنستمع إلى قول رب يسوع الذي خاطب به اليهود الذين آمنوا به: "إِنَّمَا إِنْ شَاءُتْ فِي
كَلَامِي... تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (الله) وَالْحَقُّ يَحْرُكُمْ" (يو :٨ ٣٢-٣١)...
يوجد فارق كبير بين المعرفة القائمة على الإيمان وبين الإيمان وحده.

معرفة الشركة والاتحاد مع الله

﴿ لَنْ تَنْظُرْ إِلَّا تَقُولُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَةَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّحَدوْ وَصَارُوا وَاحِدًا مَعَ آخَرِينَ، أَنَّهُمْ صَارُوا
يَعْرِفُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ التَّصْفَوْ بِهِمْ، وَصَارُوا وَاحِدًا مَعَهُمْ... ٢
عِنْدَمَا قَالَ آدَمُ عَنْ حَوَّاءِ: "هَذِهِ الْآنَ عَظِيمٌ مِّنْ عَظَامِي، وَلَحْمٌ مِّنْ لَحْمِي" (اتك :٢ ٢٣)، لَمْ يَكُنْ أَنْهُ عَرَفَ زَوْجَهُ؛ لَكِنَّهُ عِنْدَمَا التَّصَقَّ بِهَا قَيْلٌ: "وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ" ١...
مِنْ يَلْتَصِقُ بِزَانِيَةِ يَعْرِفُ الزَّانِيَةَ، وَمِنْ يَلْتَصِقُ بِزَوْجَهِ يَعْرِفُ امْرَأَتَهُ، وَمِنْ
يَلْتَصِقُ بِالْرَّبِّ يَعْرِفُ الرَّبَّ (راجع ١ كُو :٦ ١٦-١٧)...
فَمِنْ لَهُ الْقَلْبُ النَّقِيُّ يَرَى اللَّهَ (مت :٥ ٨). أَمَّا مَنْ لَمْ لَهُ الْقَلْبُ النَّقِيُّ، فَلَا يَرَى مَا
يَرَاهُ الْآخَرُونَ. أَعْتَدَ أَنَّهُ يَلْزَمُنَا أَنْ نَفْهُمَ شَيْئًا مِّثْلَ هَذَا بِخَصُوصِ الْمَسِيحِ أَيْضًا حِينَ
نَظَرَ فِي الْجَسَدِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَنْقَى بِنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَانَ قَادِرًا أَنْ يَرَاهُ. لَقَدْ رَأَوْا جَسْمَهُ،
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرُوهُ مِنْ حِيثِ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ. أَمَّا تَلَامِيذهُ فَرَأُوهُ وَنَظَرُوا عَظِيمَهُ
لَاهُوتَهُ.^١ ٢ ٣

رؤيه الله ونقاوه القلب

فَمِنْ لَهُ الْقَلْبُ النَّقِيُّ يَرَى اللَّهَ (مت :٥ ٨). أَمَّا مَنْ لَمْ لَهُ الْقَلْبُ النَّقِيُّ، فَلَا يَرَى مَا
يَرَاهُ الْآخَرُونَ. أَعْتَدَ أَنَّهُ يَلْزَمُنَا أَنْ نَفْهُمَ شَيْئًا مِّثْلَ هَذَا بِخَصُوصِ الْمَسِيحِ أَيْضًا حِينَ
نَظَرَ فِي الْجَسَدِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَنْقَى بِنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَانَ قَادِرًا أَنْ يَرَاهُ. لَقَدْ رَأَوْا جَسْمَهُ،
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرُوهُ مِنْ حِيثِ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ. أَمَّا تَلَامِيذهُ فَرَأُوهُ وَنَظَرُوا عَظِيمَهُ
لَاهُوتَهُ.^١ ٢ ٣

¹ Comm. On the Gospel according to John, Book 19.

² Comm. On the Gospel according to John, Book 19.

³ Homilies in Luke, Homily 3: 3-4.

❖ ظهر الله لإبراهيم وغيره من القديسين، من خلال نعمة إلهية. لم تكن عين نفس إبراهيم هي السبب الوحيد، فقد سمع الله بأن يعاينه ذلك الشخص البار المستحق لرؤيه.

من المحتمل وجود ملاك معنا الآن ونحن نتكلم، لكننا غير قادرين على رؤيته لعدم استحقاقنا.

ربما تسعى العين (الجسدية)، أو العين الداخلية، إلى إثارة هذه الروية. لكن إن لم يكشف الملاك عن ذاته لنا - نحن الذين نصبو إلى رؤياه - فلنتمكن من ذلك.

لا تتعلق هذه الحقيقة فقط بمعاينة الله في الزمن الحاضر، بل تمتد أيضاً إلى ذلك الحين عندما ننتقل من هذا العالم. فالله وملائكته، لا يظهرون لكل الناس بعد انتقالهم مباشرةً... ولكنها ميزة يقتصر منها على أنياء القلب، الذين أذعوا أنفسهم لمعاينة الله.

فإليسان العقل قابه بالخطايا، ليس في مستوى ذي القلب الظاهر. فالأخير سوف يعاين الله، في حين يحرّم الأول من ذلك.

أعتقد أن هذا هو ما حدث، عندما كان المسيح متجمداً في عالمنا. فليس كل من شاهده قد عاينه. شاهده بيلاطس وهيرونس، ولكنهما لم يعايناه كإله.

جاء رجال ثلاثة إلى إبراهيم في وقت الظهور. وجاء اثنان إلى لوظ في المساء (تك ١٩:١). لم يكن في استطاعة لوظ احتمال عظمة ضوء الظهور، يعكس إبراهيم الذي كان قادرًا على استقبال الإشراق الكامل لذلك الضوء^١.

❖ السماء الأولى التي يصنعها روحية وهي عقلنا (العقل أو الروح)، وهو جوهرنا روحي. بمعنى آخر أن بيتنا الذي يتطلع إليه الله ويتأمله، والسماء المادية هي تلك التي نراها بأعين الجسد^٢.

ارفع البرقع، فترى الرب

"عن جميعاً ناظرين مجده الرب بوجه مكشوف كما في مرآة" (٢ كور ٣:١٨).

¹ Cf. Philo QG. 4.30.

² In Gen. hom. 4:1 (Cf. Heine).

³ Hom. On Genesis 1:2.

♦ يقول هؤلاء المعرفون بخطاياهم: "تضطجع في خزينا، ويغطينا خجانا (ببرقٍ)" (أر ٣: ٢٥). لقد اعتقدنا أن نتحدث عن البرق الموضوع على وجه الذين لا يرجعون إلى الرب. وبسبب هذا البرق فحين يقرأ موسى (كو ٢: ٣؛ ١٥) لا يفهم الخاطئ، لأن البرق موضوع على قلبه.

ونحن نقول بخصوص البرق إن الخزي هو هذا البرق، فطالما توجد عندنا أفعال الخزي، فمما لا شك فيه أن البرق موجود أيضاً عندنا، بحسب ما قيل في المزمور ٤٣ (٤٤): " وخزي وجهي قد خطأني (ببرقٍ)" (مز ٤: ٤؛ ١٥). إذا فالذين لا يعملون أعمالاً مخزية لن يكون عندهم برفع. وهذا ما قاله بولس الرسول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة" (كو ٢: ١٨). فإذا كنا نريد أن ننزع البرق الناجم عن الخزي، فلنعمل الأعمال المجيدة، ولنجعل كلمة المخلص هذه في أذهاننا: "لكي يكرِّم الجميع الآباء كما يكرِّمون الآباء" (يو ٥: ٢٣). وكذلك قول بولس الرسول: "لأننا بتعدينا للناس مس نهين الله" (رو ٢: ٢٣). نزع البرق هو في مقدرتنا نحن، وليس في مقدرة أحد آخر. فعندما كان موسى يتوجه إلى الله، كان بالفعل ينزع البرق. فها أنت ترى كيف أن موسى كان أحياناً يمثل الشعب. فطالما أنه لا يتوجه إلى الرب - ممثلاً شعبه الذي لا يتوجه إلى الرب - كان يضع حينذاك برقباً على وجهه؛ ولكنه عندما ينظر إلى الله، ممثلاً هؤلاء الذين ينظرون إلى الله من شعبه، كان ينزع البرق. وأن الله لم يأمر موسى قائلاً له: "خط وجهك ببرقٍ"، وإنما عندما رأى موسى أن الشعب لا يقدر أن ينظر إلى مجده، وضع برقباً على وجهه؛ كما أنه لم ينتظر أيضاً أن يقول الله: "الزع البرق" في كل مرة يرجع إلى الرب^١.

يقسم العلامة أورييجينوس المسيحيين إلى فريقين^٢:

١. الذين يؤمنون، وهم البسطاء في الذهن.
٢. الذين يعرفون، وهم المؤمنون الكاملون، أصحاب المعرفة اللاهوتية. يليق بالمؤمن أن يجاهد في المعرفة.

تحقيق هاتان المرحليتان في نوعين من الحياة، وهما الحياة العاملة والحياة التأملية. العلامة أورييجينوس هو أول من ميز بين مريم ومرثا في إنجيل ملمنا لوقا البشير كمثالين

^١ عطات على إرميا، عظة ٨: ترجمة جاكلين سمير كوسني.

² Cf. Vladimir Lossky: *The Vision of God*. (Lev. hom. 13:3. PG 12:547)

للحياة العاملة والحياة التأملية^١. بينما يقف العاملون في الدار الخارجية للهيكل، يدخل المتأملون في هيكل الله^٢.

هيكل أورشليم بأقسامه يطابق درجات الكمال في المعرفة. فالآبواب التي تفصل الهيكل عن الدار الخارجية هي أبواب المعرفة. وبلغ قدم الأقدس هو الدخول إلى معرفة الله الكاملة^٣.

بنفس الطريقة أسفار سليمان:

سفر الأمثل يمثل حالة الجهد الأخلاقي (وصايا أخلاقية).

سفر الجامعة حيث يكشف عن بطلان العالم وطلب معرفة الله، يتعرف المولى على أسرار الخلقة.

أما سفر التشيد حيث زواج النفس باللوغوس الذي يدخل بها إلى معرفة الله.

يقرر العالمة أوريجينوس قول الرسول: "الله سيصير الكل في الكل" بأنه سيكون في كل أحد، وسيكون الكل في كل أحد، معنى أن يكون في الذهن العاقل، حيث يتلقى من كل دنس الرذيلة، ويغسل من كل وصمة الخبث، يشعر كأنه وبفهمه وبفكر مثلك. معنى أنه لا يعود يرى غير الله، سيملك الله، ويكون الله هو النموذج والمقياس لكل حركاته^٤.

المعرفة هي حالة اتحاد مع الله تتحقق باستبعاد كل هدف آخر للكلام. يصبح الله هو الكل، بطريقة أنه لا يعود العقل البشري يعرف شيئاً غير الله، كقول الرسول بولس بصير له فكر الله.

هذه المعرفة المؤدية إلى الاتحاد لا تنفصل عن الحب، إذ بالمعرفة يزداد الحب، ويلتهب أكثر فأكثر^٥.

يرى العالمة أوريجينوس أن كلمة نفس "سيكي" مشتقة من "سيكوس" أي برد، فهي تعني الحالة الروحية الباردة، حيث فقدت النفس حرارتها الأصلية، وصارت متغيرة عن الله. لقد كانت حالة الإنسان الأصلية التي خلق عليها تطابق حالته النهاية، إذ بصير الله بالتأمل الكل في الكل.

¹ Fragments from Comm. On John no. 80.

² In Ps. 133. PG 12:1652.

³ In Ps. 117 PG 12:1581.

⁴ De Principiis 3:6:1 PG 11:333.

⁵ De Principiis 3:6:3 PG 11:336.

التأمل في الله

يتحدث سفر التكوين عن خلقة السماوات "في البدء"، وعندما يخبرنا أن الجلد خلق في اليوم التالي، إنما يشير إلى نوعين من السماء: السماء الروحية والسماء المادية. يقول العلامة أوريجينوس: [السماء الأولى التي يصنعها روحية، وهي عقلنا (العقل أو الروح)، وهو جوهرياً روحياً^١].

أخطأ العلامة أوريجينوس إذ اعتقد أن نفس المسيح أو روحه البشرية لها وجود سابق، وأنها لم تسقط مثل نفوسنا، ويعينا هي متحدة باللوغوس وفي حالة رؤيا الله. فالتجسد هو حالة اتحاد فريد لهذه النفس الكاملة بجسد بشري، اتحاد بدخول الكلمة الأزلية بارادته إلى عمل تارخي، فيصير إنساناً^٢.

إذ صار إنساناً دخل الكلمة في اتحاد كامل مع الطبيعة البشرية. مادمنا في الخطية وغير كاملين فهو فيما جزئياً فقط، وهذا هو السبب أنا نعرف جزئياً ونتبأ جزئياً، وذلك حتى يبلغ كل عضو إلى القياس الذي تحدث عنه الرسول: "لا أحيا أنا، بل المسيح يحياناً في" (غل ٢: ٢٠).

الحواس الروحية الخمس

في شيء من التفصيل تحدث العلامة أوريجينوس عن فكرة الحواس الخمس الروحية أو المتجالية، وعلاقتها بإدراك الحقائق الإلهية. لأول مرة في كتابات الآباء نسمع عن فكرة "الشارة" *spark*: "النور الذي يقدم فكرة عن سمو الطبيعة الإلهية"^٣. في تفسيره لرحلة الشعب في البرية يفسر العلامة أوريجينوس محطات الرحلة كمراحل للطريق تجاه رؤية الله. إنها رحلة خروج النفس التي تتخلص تدريجياً من المتعلقات الأرضية.

الرؤى والمعرفة

تدمج التجارب عن الخبرات الأولى للإلهيات، فيعطي اللوغوس راحة للنفس خلال الرؤى أو الزيارات التي بلا شك تطابق إدراك الإلهيات بالحواس الروحية، أو التقاء النفس مع الله.

¹ Hom. On Genesis 1:2.

² De Principiis 2:6:3.

³ De Principiis 1:1:5.

في مستوى أعلى تبطل الرؤى وتنترك مجالاً للمعرفة، لأجل استئارة التدبير العقلي للنفس الذي يود أن يكون مستعداً على الدوام للتأمل (التاوريا). على أي الأحوال تظهر العناصر العقلية في المعرفة أولاً، ثم تزول تدريجياً حتى تتحدى النفس مع المسيح، وتتحقق الزرجة الروحية مع اللوغوس... في هذه الزرجة تتحرر النفس من الجسدية، وتتعدى المدركات العقلية، وتدخل السماويات¹، فترى الله غير المنظور. في اللوغوس تصير النفس أيقونة، فتشف الشبه بالشبة وتنعم برؤية الله، تصير روحياً كاملة متحدة. إن كانت الروح تنتقى متجاوزة كل ما هو مادي، إنما لكي تدخل بالتأمل في الله إلى الكمال اللائق، تعود إلى طبيعتها الأصلية المطوية، إلى صورة الله ومثاله؛ فتتمتع بالخلود وعدم الفساد مع شركة المجد الأبدي وتتأمل الله².

العودة إلى الحالة الأولى التي كانت فيها النفس روحًا *nous* تتحقق بالاتحاد مع الابن الوحيد في رؤية الله.

يوجد عمل واحد للدين، وهو أن يأتي المؤمنون إلى الله (الآب) بواسطة اللوغوس الذي مع الله، أي عمل التعرف عليه، مadam الابن هو وحده الذي يعرف الآب³. لم يبلغ شخصية الإنسان بدخوله إلى وجود روحي في الابن. لم يقال من شأن الابن، لكن بتوجهه لمكتننا الدخول به ومعه لمعرفة الإلهيات. مثل القديس إكلينيس أوضح أن الهدف من التأمل في الله هو أن تصير النفس كاملة، تعود إلى حالتها الأولى، تنعم بالرؤى نفسها باتحادها مع الابن.

الدخول في حجال الملك

﴿إِنَّهُ أُخْتُفِطَ إِلَى الْفَرْدُوسِ، وَسَمِعَ كَلَمَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا، وَلَا يَسْوَغُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَكُلُّ بِهَا﴾ (كو ١٢ : ٤)... آية كلمات نظن أنه سمعها، فقد سمعها من الملك. هل سمعها وهو في الحجال أم من الخارج فقط؟ اعتقد أن هذه الكلمات كانت هكذا لكي تشجعه على نشر ذلك فيما بعد، أو لتعده أنه إن ثابر حتى النهاية هو نفسه يستطيع أن يدخل حجال الملك حسب الوعيد الذي قدمه أيضاً النبي: "أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ، أفتح

¹ *Contra Celsum* 4:20. PG 11:1320-1.

² *In John hom.* 32:17 PG 14:817 A.

³ *In John hom.* 1:16 PG 14:5952.

كَلِّ الْأُمُورِ غَيْرِ الْمُنْظُورَةِ لَكِ تَعْرِفُ إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ، الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلَهِ
إِسْرَائِيلَ" (إش ۵۳: ۳) ^١.

❖ في صوت الياءمة الذي يسمع في أرض الموعد يليق بنا أن نرى المسيح يعلم
بشخصه، نراه وجهاً لوجه، ولا نعود نراه في مراة في لغز^٢.

❖ إن كانت المعرفة تُعلن للذين يستحقونها فينالونها في مراة، وهي لغز في العصر
الحالي، وستعلن بالكامل عندئذ فقط، فمن الغباوة أن تظن أنها سوف لا يكون الأمر
هكذا بالنسبة لحقيقة الفضائل^٣.

❖ إنه يشجعها ويحثّها ألا تجلس خاملة هناك، بل تخرج إليه خارجاً، وتحاول أن تراه
لا من الشياطين، ولا من مراة في لغز، بل تذهب إليه وتراه وجهاً لوجه. لأنّه الآن إذ
لا تستطيع هي أن تراه، يقف هكذا خلفها وليس أمامها، يقف وراء ظهرها، وخلف
الحانط^٤.

¹ *The Song of Songs, Comm., Book 1:5.*

² *The Song of Songs, Comm., Book 4:14. (ACW)*

³ *On Prayer 11 :2.*

⁴ *The Song of Songs, Comm., Book 3:13. (ACW)*

رؤيه الله

عند القديس باسيليوس الكبير

رؤيه الله عند الآباء الكبادوك

بينما يعتقد السكندريون مثل القديس إكلينيكتوس السكندري والقديس ديموس الضرير والعلامة أوريجينوس بالمعرفة العقلانية *intellectualism* أو العودة إلى الله خلال العقل الذي تنسنه النعمة الإلهية، دون تجاهل للشركة في الله الثالوثي، إذا بالكبادوك في مواجهتهم أنصار أونوميوس *Anomoens* يحددون بوضوح العقلانية في موضوع معرفة الله. يرون في التأمل في الله الشركة في الله الثالوثي. لقد قام صراع شديد بين أونوميوس *Eunomius* (٣٨٥-٣٦٥م) والكنيسة في موضوع المعرفة بوجه عام، ورؤيه الله بوجه خاص.

نادي أريوس بأن الله لا يمكن معرفة جوهره حتى بالنسبة لغيره، أما أونوميوس فقال بأنه يعرف جوهر الله كما هو، معتمداً على القول: "أنتم تسجدون لما لستم تعرفون، أما نحن فنسجد لمن نعرفه" (يو ٤: ٢٢). يقول إنه لا يوجد شيء يخص الله يعرفه عن نفسه إلا ونحن أنفسنا قد عرفناه.

يميز أونوميوس بين نوعين من الأسماء:

أولاً: أسماء مفترضة بالتأمل، وهي أسماء متخيلة بواسطة التفكير أو التأمل، وهي بلا قيمة موضوعية، ولا تقدم معرفة صادقة عن الموضوع الذي تتأمله.
ثانياً: أسماء جوهرية ليس من نتاج التأمل البشري. أسماء موضوعية تعبّر عن جوهر الأشياء، معلنة عقلياً.

رؤيه الله عند القديس باسيليوس الكبير

انتقد القديس باسيليوس الكبير أونوميوس على تفكيره الفلسفى فى نظرية الخاصة بالمعرفة، ورفض التمييز بين أسماء جوهرية للأشياء وأخرى مفترضة بالتأمل. فإن كانت هذه الأسماء قد جاءت عن طريق التأمل (التفكير)، هذا لا يعني أن هذا التأمل عقيم لا يطابق

أية حقيقة موضوعية، لكن توجد أعمق في الشيء غير معروفة. يقول بأن كل الأسماء الإلهية التي وردت في الكتاب المقدس تظهر لنا الله كما أعلن هو عن ذاته لخليقه. يعلن الله عن ذاته خلال أعماله وطاقاته. نوكل أننا نعرف الله إلينا في طاقاته التي تنزل إلينا، لكن يبقى جوهره غير مقترب إليه^١. لكن هذه الطاقات ليست أشياء إضافية إلى الجوهر الإلهي، ولا هي مخلوقة كما يظن أونوميوس.

رؤيه الله وكشف الثالوث القدس بالروح القدس

خلال التجسد الإلهي يمكننا أن ننعم بشعاع من العلاقات بين الأقانيم، هذه العلاقات سماتها فائقة عن تفكيرنا الطبيعي.

عند العالمة أورييجينوس *الثيولوجيا* *theology* هي معرفة الابن للأب، أما التأوريya فهي معرفة الخليقة لله خلال عنایته وخلال إعلانات الله لها. *الثيولوجيا* عند العالمة أورييجينوس هي تأمل اللوغوس أو رؤية لأعمال الآب. أما عند آباء القرن الرابع هي كشف الثالوث القدس، أو عمل الله وكشفه خلال الخلقة والعنایة الإلهية والخلاص والتقدس. يتحدث القديس ياسيليوس عن "الألفة مع الله، أو الانحاد في حب"^٢.

المعرفة عند القديس إكليمينطس السكندرى وأورييجينوس هي معرفة مؤلمة حسب تعبيرهما، وعند القديس ياسيليوس الكبير فإن الروح القدس يقسم بالنعمنة أولئك الذين لا يزالون في الطبيعة قابلين للتغير^٣. هي اتحاد أو شركة الروح القدس خلاله تتأمل الله. يقول كما أن الشمس عندما تسقط على عين نقية يُظهر لك الروح القدس في نفسه صورة الواحد غير المنظور، هكذا في التأمل المفرح لهذه الصورة ترى جمال الأصل الذي لا يوصف^٤. إنها رؤية في الروح خلال الابن تجاه الآب، أي رؤية ثالوثية.

❖ كما لو كانت الشمس تنزل على عين نقية، فإن الروح القدس سيريك، في ذاته، صورة الواحد غير المنظور. ففي التأمل المفرح لهذه الصورة سوف ترى جمال الخالق الفائق^٥.

¹ Letter 234 to Ampilocus. PG 32:869.

² Hom Quod est Deus 6. PG 31:344 B.

³ Contra Eunom. PG 29:665c.

⁴ De Spiritu Sancto 9:23 PG 32:109.

⁵ De Spiritu Sancto, 9:23. PG 32:109.

رؤیة الله في الروح القدس وموسى النبي

للقديس باسيليوس تفسير روحي لإجابة الرب لموسى النبي (خر ٢٣: ٢١).

❖ مَا يُعْنِي بِقَوْلِهِ: "عَنْدِي مَكَانٌ" سُوِّي الرؤْيَا فِي الرُّوحِ؟ الَّتِي لَمَّا صَارَ مُوسَى فِيهَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُرَى اللَّهُ ظَاهِرًا لَهُ بِطَرِيقَةٍ تَمَكَّنَهُ مِنَ التَّعْرِفِ عَلَيْهِ.

هذا هو المكان الخاص بالعبادة الحقيقة، فقد قال: "احترز من أن تصعد محرفتك في كل مكان تراه، بل في المكان الذي يختاره الرب" (تث ١٢: ١٣). إذن ما هي المحرفة الروحية؟ ذبيحة التسبيح؟ في أي مكان نقدمها إلا في الروح القدس؟! ممن تعلمنا هذا؟ من المسيح نفسه القائل: "الساجدون الحقيقيون يسجدون لِلَّهِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ" (يو ٤: ٢٣). ولما رأى يعقوب هذا المكان قال: "حَقًا إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ" (تث ٢٨: ١٦). الروح هو مكان القديسين، والقديسون هم مكان خاص بالروح، إذ يقدمون أنفسهم لسكنى الله، ويسمون هيكل الله. وذلك كما يتحدث بولس عن السيد المسيح قائلًا إِنَّهُ يتكلّم في حضرة الله، كذلك يتكلّم في الروح بالأسرار والروح يتكلّم أيضًا فيه^١.

❖ يدرك هذا الجمال غير المنظور لأعين الجسد بالذهن والنفس فقط. فإذا يلقي بنوره على أحد القديسين يتركه وهو في أتون الشوق إليه بطريقة لا تحتمل، فيقول وهو مضطرب من الحياة على الأرض: "وَيْلٌ لِي، فَانِّي غَرَبْتُ فَدَ طَالَتْ" (مز ١٢: ٥). "مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاعَى قَدَّامَ وِجْهِ اللهِ؟" (مز ٤٢: ٣)...

إذا يشعر (القديسون) بتألق هذه الحياة الحاضرة كما لو كانت سجنًا، فإنهم بالجهد يستطيعون أن يضيّعوا أنفسهم وهم تحت الدوافع التي تشيرها لمسة الحب الإلهي في داخل نفوسهم.

بالحقيقة يسبب شففهم النهم للتمتع بروبة الجمال الإلهي يصلون أن يستقر فيهم التأمل في فرح الرب كل الحياة الأبدية. فالبشر بالطبيعة يرغبون فيما هو جميل. لكن ما هو بالحقيقة جميل ومشتهي فهو صالح^٢.

¹ St. Basil: *On the Holy Spirit*, 62.

² *The Long Rules*, Question 2.

لتعبر فوق العالم بأذاننا ونرى الله^١

تحت عنوان "عظمة الله" كتب الأسقف ألكسندر (Alexander) (Mileant) الآتي:
[الله هو الكائن الأعلى والكلي الكمال، الخالق، ومدير العالم، الروح السرمدي،
الكائن في كل مكان، والعالم بكل شيء، والكلي السلطة. بكونه الله فهو فوق كل إدراك، ليس
فقط بالنسبة للبشر، بل وفوق الفهم الملائكي. "الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نورٍ
لا يُدْنِي منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١ تي ٦ : ١٦).] وقد اقتبس
العبارة التالية للقديس باسيليوس الكبير.

❖ إن أردت أن تتحدث عن الله، اجحظ جسدك ومشاعرك الجسدية، واترك الأرض والبحر،
واجعل الهواء أسلفك.

أعبر على فصول السنة، ونظمها اللائق، وزينة الأرض، وقف علينا أكثر من
السماء، وأعبر بين الكواكب وجمالها وعظمتها ومنافعها التي تقدمها للجميع من
نظام حسنٍ ونورٍ وترتيبٍ وتحركات، وما تجريه من اتصالات كثيرة، ومسافات شاسعة
فيما بينها.

إذ تعبر بذلك لنقترب من السماء، وتفقد فوقها بغيرِ واحدٍ لتصور كلِّ الجمال
هذاك: لتجاهل جيوش الملائكة، وقيادة رؤساء الملائكة، ومجد الطففات... ورئاسة
العروش والقواتِ والسلطانين...

لتُعبر هؤلاء جميعاً، وتترك الخديقة أسفل أفكارك، وتسمو بفكراك فوق حدودها،
وتتصور في أفكارك جوهر الله، غير المغير، المعصوم، غير المتحرك، الذي لا يخضع
لمشاعر (بشرية)، البسيط بلا تعقيد، النور الذي لا يقترب منه، سلطانه لا يُعَبَّر عنه
بكلمات، غير المحدود في عظمة وبهاء مجده وحنته المُشتهي، وجماله الذي لا يُقاس،
الذي يُذهل النفس الجريحة، إذ لا تقدر باستحقاقاتها أن تصوره بكلمات.

^١ Bishop Alexander (Mileant): *The One God Worshipped in the Trinity*. Translated by Nicolas and Natalie Semyanko, Edited by Donald Shufraan.

رؤيه الله

عند القديس غريغوريوس التزينزي

يصعب تحديد تعليمه في الرؤية حيث يذكر إمكانية التعرف على الجوهر الإلهي، رافقنا هذه المعرفة حتى بالنسبة للملائكة. وأحياناً يستخدم عبارات يفهم منها أننا نعرف جوهر الله بالتأمل في الثالوث القدس بالاتحاد معه.

يتحدث عن التأمل في الثالوث القدس، على خلاف صديقه القديس باسيليوس الكبير فهو دائمًا يميل إلى التأمل حتى عندما يكتب في أمور عقلية أو جدلية. كتاباته سامية، تمثل إلى الصلاة التأملية في التعبير. في نهاية حياته سجل لنا: [حيث الثالوث كان، حيث ترتبط الماهية بالسمو... فإن ظلال الثالوث المنبعثة هي وحدتها تملأني عاطفة^١.]

في نظره أن ترى الله تأمل الثالوث القدس حيث شاركه نوره بال تمام.

♦ سيكون هناك ورثة للنور الكامل والتأمل في الثالوث الكلى القدسية والسلطة... هؤلاء هم الذين يكونون متحدين بالكامل بالروح كله. هذا ما يكون عليه الملكوت السماوي^٢.

♦ الطبيعة الأولى الكاملة النقاوة لا يعرقنا إلا بنفسه، أي الثالوث القدس^٣.

♦ الجوهر هو قدس الأقدس الذي يبقى مخفياً حتى عن السارقين، ممجداً بالثلاثة تقديسات، واحداً في الالهوت والسلطة^٤.

♦ في هذا العالم نتحدث مع الله في سحابة مثل موسى، لأن الله يجلس في ظلمة تقوم بينه وبيننا. ونحن بدورنا متذمرون إلى النور الذي نجده بصعوبة. أما الصخرة التي أرفع إليها موسى لمعانينة الله فهي تجسد الابن، وفاعلية لاهوته على تلاميذه الثلاثة حيث أوضح ما أخفاه الجسد^٥.

^١ Poems about himself 11 PG 37:1165-7.

² Oration 21:9 PG 35:945.

³ Oration 28:2 PG 36:29 AB.

⁴ In Theophan. Or. 38:8 PG 36:320 BC.

⁵ Oration 32:16 PG 36:193.

رؤيه الله

عند القديس غريغوريوس النبوي

حمل القديس غريغوريوس النبوي ذات الفكر السكتندرى كما ظهر في كثير من كتاباته. ففي مقالاته "عن الصلاة الربانية" يتحدث عن الصلاة كوسيلة لإعادة صورة الله في الإنسان التي أفسدتها الخطية، وأفقدتها جمالها الأصلي. وفي مقالاته عن "التطويبات" يركز على التعرف على الله ورؤيته داخل النفس، حيث تمتلكه النفس وهو يمتلكها، فتحتول إلى حالة فردوسية متهلة.

طبيعة الله التي لا توصف!

مثل أخيه القديس باسيليوس الكبير، يؤكد أننا لا نبلغ معرفة الجوهر حتى بالنسبة للمخلوقات، إنما ما نعرفه هو ما ننتفع به في حياتنا من الأشياء. ما نعرفه بالنسبة لله هو ما يمس حياتنا العملية، ألا وهو الشراكة مع الله. يوجد اسم واحد فقط للتعبير عن الطبيعة الإلهية، وهو العجب الذي يمسك بنا عندما نفكر في الله^١.

مثل القديس باسيليوس يميز القديس غريغوريوس النبوي بين الأسماء السلبية لله، وهي الذي تستبعد عنا كل ما هو غريب عن الله، والأسماء الإيجابية التي بها نعرف ما يخص جوهر الله وليس جوهره ذاته. بعض هذه الأسماء الإيجابية عند البعض في حقائقها سلبية، مثل أزلٍ أي بلا بدأوية، وصالح أي ليس بشرير.

في "عظاته على نشيد الأناشيد" يقول القديس غريغوريوس النبوي:

[تصنِّع لك سلاسل (أشكالاً) من (شبها) ذهب، مع جمان من (شبها) فضة] (ش ١: ١١)... علينا ألا نسترسل دون الأخذ في الاعتبار سبب عدم استخدام الملك للذهب للزينة بل "شبها الذهب"، وليس الفضة بل "شبها الفضة". ذلك يعني الآتي:

كل تعليم يخص وصف طبيعة الله التي لا توصف، حتى وإن كان يكشف عن أفضل

^١ In Cant. Cant. Hom. 12, PG. 44:1028.

وأسى مفهوم ممكناً، إنما هو شبه الذهب وليس الذهب ذاته، لأن الصلاح الذي يتجاوز العقل البشري لا يمكن تقديمها بدقة.

حتى ولو أن أحداً مثل القديس بولس قد اطلع على أسرار الفردوس غير المدركة وسمع كلمات لا ينطق بها (٤ : ١٢) فإن آية معرفة الله تظل لا ينطق بها. بولس الرسول ذاته يقول إن مثل هذه المفاهيم غير مدركة.

أعلن أولئك الذين يقدمون لنا آية أفكار صالحة عن مثل هذه الأسرار، أنهم هم أيضاً غير قادرين حقاً على التعبير عن الطبيعة الإلهية.

إنهم يتكلمون بالأحرى عن بهاء مجد الله ورسم جوهره (عب ٣ : ١)، صورة الله، والكلمة الذي في البدء وكان الكلمة الله (يو ١ : ١). كل هذه التعبيرات تبدو لنا نحن الذين لم نر الطبيعة الإلهية مثل الذهب من هذا الكنز. ولكن بالنسبة لهؤلاء القادرين على رؤية الحقيقة، يرون أنها شبه الذهب وليس ذهبًا لاماً، إنه ذهب مع جمان من فضة. إن الفضة كما يقول الكتاب: "السان الصديق فضة مختارة" (أم ١٠ : ٢٠).

هذا يظهر لنا أن الطبيعة الإلهية تتجاوز كل مفهوم نحاول أن ندركه.

فهمنا للطبيعة الإلهية يشبه ما نهدف إليه. إن أحداً لم يرها، ولا يستطيع أن يراها، إلا كما في مرآة ولغز (١٢ : ١٣) (كو ١٢ : ٤).

إنها تعطينا انعكاساً لما نفكر فيه، أي تُقدم انعكاساً موجوداً في النفس بصورة معينة. كل كلمة تمثل هذه المفاهيم تشبه نقطة تحتاج أن تسع حيث أنها قاصرة عن التعبير عما في العقل. إذن فكل فكر لنا يعجز عن إدراك الله. وكل كلمة تُقال كمحاولة للتعبير عن الله تبدو مثل نقطة صغيرة غير قادرة على الاتساع لتناسب مع المفهوم. هكذا إذ تقاد النفس بمثل هذه المفاهيم لإدراك ما لا يمكن إدراكه إلا عن طريق الإيمان لعلها تفسر ذاتيًّا طبيعة تفوق كل ذكاء.

هذا ما يقوله أصدقاء العريض: "دعينا أيتها النفس التي تشبه الغرس نصنع لك صوراً تشبيه الحق (لأنه لذلك يذكرون الفضة: إذ أن كلماتهم تشبه شرارة تتلاiate، ولكنها قاصرة عن تقديم المعنى العميق بدقة)".

وعندما تصلك هذه الكلمات تكون قد صرت خاضعاً لها، وهذا تصدير مكاناً لسكنى ذاك الذي يوشك أن ينكم ويسكن في داخلك خلال إيمانك.^١

^١ علة ٢ على نفي الأشبيه ترجمة الدكتور جورج نوك.

معرفة الله وحياتنا العملية

القديس غريغوريوس النبوي عملي في تفكيره اللاهوتي مثل الأنبياء الكبار وكثيرون
السابقين. قام أنطونيوس وكتب ضده ١٢ كتاباً.

♦ بينما يرى القلب النقى الله حقيقة، غير أن الله لا يراه أحد فقط. فما هو غير منظور
بالطبيعة يصير منظوراً بالطاقات، إذ يظهر لنا ما يخص طبيعته^١.

♦ تفوق الطبيعة الإلهية كل مفهوم عقلي، وهي ليست في متناول أية ملائكة بشرية. لهذا
يدعو بولس طرق الله بعيدة عن الاستقصاء" (رو ١١: ٣٢)، فاصدراً بذلك أن العقل
البشري فاقد عن معرفة الجوهر الإلهي. هذا يعني وجود طرق كثيرة للمعاينة والفهم،
لأنه من الممكن رؤية الله الذي صنع كل شيء بحكمة (مز ٢٤: ١٠٣) بالرجوع إلى
الحكمة الظاهرة في العالم. ففي الخليقة نشَّكل في عقلاً صورة لا للجوهر الإلهي بل
لحكمة الله الذي صنع كل شيء بحكمة. ونقول إننا عاينا الله بهذه الطريقة وفهمناه،
عليها صلاحه لا جواهره.

في شرحه للتطويب: "طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله"، يقول كما أن العين
النقية ترى السماء، لكن ليس بكمالها، وترى الشمس في مرآة، هكذا بنور الله تكتشف نعمة
الصورة الموعدة في داخلنا، فنأخذ ما نسأله فيها.

التاوريا الداخلية

التاوريا الداخلية هي فتح القلب النقى، مرأة النفس لكتشاف الطاقات العاملة فيها،
طاقات النعمة، أما جوهر الله فغير مدرك.

في تفسير القديس غريغوريوس النبوي نشيد الأناشيد تظهر النفس تسأل عن حبيبها،
إنها تقوم من حيث، وتعبر في الروح خلال العالم العقلي العلوى، والذي تدعوه المدينة حيث
يوجد الرؤساء والسلطانين والعروش. إنها تجتاز خلال الكائنات السماوية فيما تدعوه الميدان
العام، تجتاز خلال جموعهم غير المحصبة فيما تدعوه الطريق. تتطلع فتجد حبيبها بينهم،
وفي سؤالها تجتاز خلال كل العالم الملائكي، وإذا لا تجد ذاك الواحد تطلب بين المطربين
الذين نلتقي بهم، وتقول لهم: "هل يمكن أن يوجد واحد من هؤلاء على الأقل من يفهم ذاك

^١ Hom. In the Beatitudes, 6 PG 44:1269.

الواحد الذي أحبه؟" لكنهم يمسكون ألسنتهم عن الإجابة على هذا السؤال، وبصمتهم تتحقق أن ذاك الواحد الذي تطلبه لا ينطق به، حتى بالنسبة إلى هؤلاء. عندئذ إذ يعلم الروح تجذار خلل المدينة العلوية، وتفشل في التعرف على ذاك الواحد الذي تطلبه بكونه غير المدرك.^١ في العظة السادسة يتسامل: كيف يعاين أنياء القلب الله الذي لا يرى؟ لقد أوضح الآيات كتابية أن كلمة "يرى" إنما تعنى "يملك" أو "يحصل على..."

مفهوم الظلمة

الظلمة بالنسبة له تختلف عما يراه القديس غريغوريوس التزبيزي، إذ يراها أنها التي تفصلنا عن نور الثالوث القدس، فلا تقدر أن تعاين جوهره. أما القديس غريغوريوس التزبيزي فيراها هي شركة مع الله غير المدرك أعلى من اللقاء معه في نور العلية الملتهبة ناراً. هي دخول إلى شركة تفوق الرؤية (التاوريقا) فوق العقل. هي منطقة فيها تكون المعرفة غير مدركة، حيث يبقى الحب وحده، إذ تتحول المعرفة إلى حب. هي خروج النفس من الذات بداعي الحب، متوجهة نحو اللوغوس، أي تجاه طبيعة الله غير المدركة.

* كل تعليم يخص وصف طبيعة الله التي لا توصف، حتى وإن كان يكشف عن أفضل وأسمى مفهوم ممكن، إنما هو شبه الذهب وليس الذهب ذاته، لأن الصلاح الذي يتجاوز العقل البشري لا يمكن تقادمه بدقة.

حتى ولو أن أحداً مثل القديس بولس قد اطلع على أسرار الفردوس غير المدركة وسمع كلمات لا ينطق بها (٢ كو ١٢ : ٤) فإن آية معرفة الله تظل لا ينطق بها.

وبولس الرسول ذاته يقول إن مثل هذه المفاهيم غير مدركة. أعلن أولئك الذين يقدمون لنا آية أفكار صالحة عن مثل هذه الأسرار، أنهم أيضًا غير قادرين حقاً على التعبير عن الطبيعة الإلهية.^٢

¹ PG 44:893.

² Commentary on Song of Songs, Homily 3.

رؤيه الله عند القديس أغسطينوس

خبرة عملية

خبرة القديس أغسطينوس الذي عاش زماناً طويلاً يبحث عن الله، حيث لم يكن ممكناً للخطية أن تُشبع قلبه، وتهبه السعادة الحقيقية، لها وزنها الخاص. فلن كان آباء الإسكندرية يقدمون لنا خبرة عملية لحياة ملتهبة بنيران الحب الإلهي مع التمرس على الدراسة والتأمل، وإن كانت خبرة الآباء النساك لها تقديرها كأناس اختبروا الحياة الملائكية الهدائة، غير أن حياة القديس أغسطينوس لها تقديرها للعوامل التالية:

أولاً: عاش زماناً يبحث عن الله، لكن الخطية كانت تسود قلبه وحياته، وتقيده عن خبرة الحياة الجديدة شبه السماوية.

ثانياً: توبته القوية، قدمت له خبرة إنسان خرج كما من الجحيم إلى السماء، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة.

ثالثاً: عشق القديس أغسطينوس لكتاب المقدس، وتأثيره بطريق أو آخر ببعض آباء مدرسة إسكندرية، جعله رجل الله الإنجيلي.

رابعاً: كأسف يحمل أبوة لشعبه، بل كثثير من آباء الكنيسة يشعر بأبوة نحو البشرية في المسيح يسوع، دفعه للحديث عن رؤية الله الأب السماوي محب البشر.

خامسًا: غزارة كتابات القديس أغسطينوس، خاصة في المناجاة مع الله كشفت لنا مما يدور في أعماقه من جهة شوقه لرؤية الله.

الاشتياق إلى المتع برؤية الله

﴿ إنني أبحث عن الله، لا لكي أؤمن به فقط، ولكن لكي أرى شيئاً منه! ﴾

﴿ اشتاق موسى أن يرى الله في ذات جوهره، لا بشبه مخلوقٍ ما أياً كان، إنما بصورته هو بالذات على القدر الذي يستطيعه الإنسان بعيداً عن الحواس الجسدية، وبعيداً أيضاً عن كل لغزٍ أو رمزٍ روحي... في تلك المرتبة العليا حيث الله هناك يتحدث بسرّ بلا

واسطة ما، وإنما بما يفوق الكلمات المنطقية... هذه كانت رغبة موسى أن يرى الله في طبيعته كما يراه القديسون هناك... فهو لم يقنع أن يحدثه الله فمَا لفم تحت صورة ما، وإنما أراد أن يراه كما هو.

❖ الذين يلهبون لرؤية الله يشاتقون أن يروه ليس تحت هيئة ما، وإنما بذات الجوهر الذي هو به كائن. هذه كانت رغبة موسى أن يرى الله في ذات الله في ذات طبيعته كما سيراه القديسون في السماء، فلم يكتفي بأن يتحدث إليه فمَا لفم وجهها لو جه تحت هيئة ما، لكنه سأله: أرني ذاك مكشوفاً حتى أتمكن من رؤيتك.

إمكانية التمتع برؤية الله

❖ توجد حياة أخرى ليس فيها موت ولا مرض. هناك سنرى وجهها لو جه ما نراه هنا في مرآة في لغز؛ ولكن يمكننا أيضاً أن نصل إلى ذلك هنا إذا تقدمنا كثيراً في تأمل الحق.

رؤية الله هي سرّ سعادتنا

إذ عاش القديس زماناً طويلاً وقد انطمست عيناً قلبه عن رؤية الله، حاسبًا الشركة مع الله حرماناً من السعادة، ومضيعة للوقت، اكتشف عند لقائه مع الله سرّ السعادة الحقيقية، وأدرك ما تعنيه "رؤية الله" ليس في هذا العالم فقط خلال الإيمان، وإنما في العالم الآخر أيضاً حيث يلتقي معه وجهها لو جه.

❖ التأمل في الله وجهها لو جه قد وُعد به لنا ليكون نهاية سعيناً، ومنتهى مساراتنا.

❖ خلقك الله، يا إنسان، على صورته، فهل يعطيك الله العين التي بها ترى الشمس التي خلقها، ولا يهبك تلك التي بها تراه هو نفسه خالقها، وقد خلق على صورته؟! لقد وهبك إليها أيضاً!

لقد أعطاك كلّيهما، وهبك كلّيهما، لكنك بمحبتك للعيدين الخارجيتين أكثر من العين الداخلية، واحتقارك للأخيرة صرت مريضاً وجريحاً.

نعم سيكون ذلك عقوبة إن كان خالقك يرغب في إعلان ذاته لك، إنها عقوبة لعيشك قبل أن تشقق. هكذا كان حال آدم في الفردوس عندما أخطأ، اختباً من وجه الله.

عندما كان له القلب السليم بضمير ظاهر، كان يفرح بحضوره الله، وعندما جرحت تلك الصدمة الخطيبة بدأ يرتعب من النور الإلهي، وهرب إلى الظلمة، واختباً بين الأشجار، هارباً من الحق، وفي قلقٍ من أجل الظل^١.

* فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز، لكن حينئذ وجهها نوجه (1 كو 12: 12). هذا ما يراه فعلًا الملائكة الذين يدعون ملائكتنا. إنهم ملائكتنا بمعنى أنه ما أن نخلص من قوة الظلمة، حتى نشأ عربون الروح، وننتقل إلى ملكوت المسيح، فتبدأ تناسب للملائكة^٢.

بالقلب النقى تتمتع بروية الله

كثيراً ما هاجم القديس أغسطينوس - كثيرون من آباء الكنيسة - بدعة "تصور شكل الله الإنساني" *Anthropomorphism*, حيث يتخيل البسطاء الله بأعضاء جسدية ضخمة. لذا كثيراً ما أكد القديس أغسطينوس أننا نرى الله بال بصيرة الداخلية، أي بالقلب النقى، فهو لا يُرى بالعينين الجسديتين اللتين تعانينا المحسوسات.

نقاوة القلب هو الطريق للتمتع بروية الله لإدراك مدى خطورة بعض البسطاء الذين سقطوا في هذه البدعة، نذكر ما حدث مع البابا ثيوفيلوس السكندرى.

سقط بعض البسطاء من الرهبان في بدعة التجسيم أو "تصور شكل الله الإنساني" *Anthropomorphism* أو خلع الشكل الإنساني على اللاهوت، وقد جذبوا وراءهم كثيرين. وحدث نزاع بين الأوريجانيين وأصحاب بدعة الأنثروبومورفيس حول السؤال: هل الله له أعضاء جسدية؟

وفي عام ٣٩٩م جاءت الرسالة الفصحية التي يحدّث فيها البابا ثيوفيلوس الـ ٢٣ موعد عيد القيامة تلائم بطريق غير مباشر أنه لا يليق بنا أن نذكر في الله بطريقة جسمانية مادية، إذ هو غريب عن الشكل البشري. وقد روى لنا القديس يوحنا كاسيان في كتابه "المناظرات"^٣ أثر هذه الرسالة على جماعة الرهبان، فقد رفضت المجامع قرائتها، ماعدا القديس بفونتيوس الذي كان أباً لمنطقة شيهيت العليا، فقد تلاها في مجمعه.

^١ Sermon On the N.T. 38:5,6.
^٢ City of God, 22:29.

^٣ مناظرة ١٠، فصول ١ - ٦.

^٤ فصل ٢.

للأسف تزعم الناسك البسيط صرّابيون حركة مقاومة ضد هذه الرسالة الفصحية، وقد انضم إليه حشود من الرهبان بسبب بساطته ونسكه.

ومما يحزن قلب الإنسان، أن جماعات الرهبان التي خرجت إلى البرية تفرغ للصلوة والجهاد من أجل محبة الله والناس، قد أخذتهم الغيرة والحسان فتركوا الإسقاط وخرجوا حشدًا غيرًا إلى الإسكندرية، حيث أحاطوا بالبطريير كيّة يصيّحون ويتوعدون مهددين بقتل الكافر ثيوفيلس! هذا ما سجله لنا بعض المؤرخين القدامى.^١

ربما لا أكون مبالغًا إن قلت أن كثريين منهم - في بساطة - خرجوا وراء قلة يتّقدون فيهم نّفّة عمياء، خرجوا وهم لا يعلمون ملأ جاء في الرسالة الفصحية، أو ربما شرّحها لهم القادة بطريقة مثيرة، لكن هذا لا يبرر موقفهم الثوري الذي لا يحمل فروئًا ولا روحانية!

أما البالا ثيوفيلس الذي عشق الجلوس مع الآباء الرهبان^٢، كلما ضاقت نفسه نزل إلى البرية ينعم ببركة الوجود بين رهبان قديسين، بل وكثيرًا ما كان يستشيرهم ويتناهى بهم، فقد أدرك خطورة الموقف. فإن كثريين منهم بسطاء وعبد روحيين، لكن يسهل قيادتهم، بل يبذلون كل حياتهم من أجل طاعة مرشدיהם الروحيين، مملوءين غيرة وحبًا شـ.رأى أن الوقت ليس مناسباً للجدال والنقاش، بل أراد كسب صداقتهم حتى يعالج الأمر بهدوء وسکينة، بحكمة النّقى بهم قائلاً بلطف: "إذ أراكم أنظر وجه الله".

لم يتحدث في حيثٍ لكن بحكمة، فإنه يرى الله في داخلهم كأولاد الله. أما هم فحسبوه يؤمن بوجود "وجه جسماني الله". فسروا قوله تفسيراً حرفيًا كعادتهم. وفجأة لفحت حدة خضبهم، وأجايلوه: "إن كنت تقول حقاً بوجود ملامح الله مثلنا فاحرم كتاب أوريجين، فقد استخرج البعض منها أدلة تخالف قولنا. وإن لم تفعل ذلك، فتوقع مما معاملتك ككافر عدو الله. أجلاهم ثيوفيلس: "أني مهمتم بهذا الأمر، ومستعد أن أجيب طلباتكم، لا تخضبوا على". فإني لست موافقاً على أعمال أوريجين، وألوم من يقتنيها".

من كلمات القديس أغسطينوس في هجومه على بدعة "تصور شكل الله الإنساني" Anthropomorphism كتب:

^١ يشهد بذلك كتاب بستان الرهبان... فربما كان أكثر الآباء البطاركة حيناً للتّردد على الأدبيّة لاستجمام الروحي ونبيل بركة الناسك وطلب صلوائهم والاسترشاد بهم.

❖ عملنا جميعه في هذه الحياة أيها الإخوة أن نُشَفِّي عيناً القلب اللثان بهما نُعاين الله!
هذا هو غلبة احتفالنا بالأسرار المقدسة، وهدف البشرة بكلام الله

❖ يا لغبوبة الباحثين عن الله بهذه العيون الخارجية، إذ لا يُرَى الله إلا بالقلب، وذلك كما هو مكتوب في موضع آخر "التمسوه بقلب سليم (بسبيط)" (حك ١:١)، لأنَّه ما هو القلب النقي سوى القلب السليم والبسيط. وكما أنَّ هذا النور لا يُرَى إلا بعيون نقية، هكذا لا يُرَى الله ما لم يكن ذاك الذي يراه (أي القلب) نقياً.

❖ لا تستسلموا للتفكير بأنكم سترون الله وجهاً جسدياً، لئلا بتفكيركم هذا تهينون أعينكم الجسدية لرؤيتها، فتبخثون عن وجه مادي لله... تنبهوا من هو هذا الذي تقولون له بإخلاص: "لَكَ قَالَ قَلْبِي... وَجْهُكَ يَا رَبَّ أَطْبِبْ..." فلتباخثوا عنه بقلوبكم.

يتحدث الكتاب المقدس عن وجه الله وذراعه ويديه وقدميه وكرسيه وموطئ قدميه... ولكن لا تظنو أنه يقصد بها أعضاء بشرية. فإن أردتم أن تكونوا هيكل الله، فلتكسرموا تمثال البهتان هذا (أي تصوّر الله بصورة مجسمة بشرية)! إن يد الله يقصد بها قوته، ووجهه يقصد به معرفته، وقدميه هما حلوله، وكرسيه هو أنتم إن أردتم... نعم، لأنَّه ما هو كرسي الله سوى الموضع الذي يسكنه؟ وأين يسكن الله إلا في هيكله؟ "لأنَّ هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (١ كور ٣:١٧). اسهروا إذن لاستقبال الله "الله روح، والذين يسجدون له فالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو ٤:٢٤)،
ليدخل تابوت العهد قلوبكم، وليسقط داجون إن أردتم (١ صم ٥:٣)^١.

❖ إذا تصورنا الله روحًا على الأقل دون أن نتصوره جسدياً - هذا الموضوع الذي سبق معالجته بتواضع بالأمس^٢، إن كنت قد نجحت في إزالة تلك الصورة البشرية من قلوبكم كما من هيكل الله، إذا كان الرسول يُعتبر عن مضائقته من هؤلاء الذين "بينما هم يزعمون أنهم حكماء، صاروا جهلاً، أبدلوا مجد الله الذي لا يفني بشبه صورة الإنسان الذي يفني" (رو ١:٢٢-٢٣). إن كان هذا قد دخل إلى أعماق أفكاركم، ولامتلك قلوبكم الداخلية، إن كنتم تنفرون من هذا الكفر، وتحفظون الله هيكله نقياً، إن

¹ Our Lord's Sermon on the Mount, 1:8
² Ser. on N. T. 3.

ربما يقصد عظة ٢٣ على من ٧٣:٢٣ عن رؤية الله.

كُنْتُمْ تُرِيدُونَنِي يَأْتِي، وَيَجْعَلُ لَهُ مَسْكَنًا فِيْكُمْ، تَفَطَّنُوا فِي الْرَبِّ بِسَطْنَةٍ صَالِحَةٍ، وَاطْبُوْهُ بِبَسَاطَةٍ قَلْبٍ" (حك ١: ١).

❖ عملنا كلَّه أيَّها الإخوة في هذه الحياة هو شفاء عين القلب التي بها يُرى الله. من أجل هذا الهدف نمارس الأسرار المقدسة، وبهذا الهدف نكرز بكلمة الله؛ وللهذه الغاية تُقام النصائح الأخلاقية للكنيسة، هذه التي تنتهي إلى تصحيح الأخلاقيات، وضبط للشهوات الجسدية، وتحدد العالم لا بالكلام فقط، وإنما بتغيير الحياة. إلى هذا الهدف توجه كل غاية الكتب الإلهية المقدسة، حتى يتظاهر الإنسان الداخلي من كل ما يعوقه عن رؤية الله^١.

❖ من يرغب في أن يحب الله، ويحذر من أن يخطئ في حقه، عليه أن يُتقى نبيه المستيقنة التي لقبه من كل شائبة. بهذا الطريق يفكر في الرب صالحًا، ويطلب ببساطة قلب (راجع حك ١: ١).

❖ حيث تُوجَد خداعات كثيرة هكذا وأخطاء للأشرار والفاشدين المتمذرين على الحكمة، فكم نحتاج إلى عين طاهرة بسيطة لكي تجد طريق الحكمة؟ أن تهرب من كل هذه، إنما هو أن تبلغ إلى الضمان الكامل للسلام، وإلى سكينة الحكمة غير المتغيرة^٢.

❖ يحوي القلب العيون التي تنظر الله... إنها تستثير الآن بالإيمان، الأمر الذي يناسب ضعفها. أما فيما بعد، فستثير بروءة الله، إذ تكون قوية. فإذا... ونحن مستوطّنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (١ كور ٥: ٦-٧).

❖ "طوبى للآتقياء القلب لأُنْهُمْ يُعَايِنُونَ الله" (مت ٥: ٨)...

كما يعلم القديس أمبروسيوس، فإنه حتى في القيمة لا يرى الكل الله، إنما آتقىاء القلب. وكما يقول يسوع المسيح ربنا: "طوبى للآتقياء القلب لأُنْهُمْ يُعَايِنُونَ الله" (مت ٥: ٨). هذا يعني أن البعض لن يروا الله. نحن نعلم أن غير المستحقين سوف لا يرون. وكما قال ربنا: "كل الذين في القبور يسمعون صوته ويخرجون"؛ لكنه هنا

¹ Sermons on NT Lessons, 3: 7.

² W. W. Wiersbe: Treasury of the World's Great Sermons, 1993, p. 8.

³ Sermon on the Mount, 2: 14: 48.

⁴ Sermon on the Mount, 2: 25: 86.

⁵ Ser. on N.T. 3: 6.

يضع تمييزاً. "الذين صنعوا الصالحات يقumen للحياة، وأما الذين صنعوا الشر فيقumen للدينونة" (يو ٥: ٢٨-٢٩).

بدون شك لن يسمح للشيطان وملائكته بروية الله نهائياً، لأنهم ليسوا أنياء القلب. يلزمنا أن نفهم بوضوح ما قد ورد في سفر أليوب، حيث يصف الملائكة قادمين في حضرة الله، وقد جاء الشيطان معهم. لسنا نعتقد بأن الشيطان رأى الله. لقد جاءوا في حضرة الله، لكنه لم يأتي إلى حضرتهم، هنا التمييز، عندما نرى شيئاً يأتي إلى حضرتنا...

لقد جاءت الملائكة والشيطان ووقفوا أمام الرب، لكن الرب لم يكن أمامهم. لا يريد الأشرار أن يروا، وبالحق لا يقدرون أن يروا الله. لذلك ما أخبركم به الآن فهو عن فهم عميق، ومهم لنا جديعاً. بالحقيقة يوجد أنساب لا يريدون بالحق أن يروه. وكما يحذّرنا القديس أمبروسيوس: "الإنسان الذي لا يريد أن يرى الله لن يراه. فإن الله لا يرى في أي موضع، وإنما في القلب النقي".

في هذا القول يطلب منّا أمبروسيوس محب الله الحقيقي أن نأخذ حذتنا. فإن لم تكرّس نفسك لنوع من العمل الروحي الذي ينفع القلب على الدوام، أي تتحرّر من الفكر العلمي والإغراءات التي تسبّب ظلمة روحية وتثير الشهوات الجسدية، فإنك بالحقيقة لا تريد أن ترى الله.^١

بالحب نتمتع بروية الله^٢

لا يمكن التعرّف على حقيقة الحب ما لم ندرك حركة الحب الأزلية بين الثالوث القدس. بدون الإيمان بالثالوث القدس، يقف الإنسان في جمودٍ، متسائلاً: إن كان الله حب، فمن كان يحب في الأزل؟ هل كانت لديه طاقة الحب بالقوة دون الفعل؟ هل كان محتاجاً إلى خلقة سماوية أو أرضية ليحبها. يقول السيد المسيح، الآب يحب الابن (يو ١٤: ٣١) وهو يدعو الابن بالحبيب الذي به يُسر (مت ٣: ١٧؛ ١٧: ٥). كما يقول الابن عن نفسه إنه يحب الآب (يو ١٤: ٣١). فمن أراد أن يرى الله، فلينتعرّف على سرّ الحب الأزلي.

^١ St. Augustine: *On Seeing God*, 24-26.

^٢ Bishop Alexander (Mileant): *The One God Worshipped in the Trinity*, Translated by Nicolas and Natalie Semyanko, Edited by Donald Shufran.

﴿ سرّ الثالوث المسيحي هو سرّ الحب الإلهي. إن كنت ترى الحب، ترى الثالوث.

في السماء نراه وجهًا لوجه ﴾

﴿ في الوقت الحاضر نحن محدودون بالحواس الجسدية والتفكير العقلي. لكننا إذ نجاهد لكون أنبياء وقديسين في إنساننا الداخلي، نمثّل بروزية الله غير الموصوفة، هذه التي يوماً ما تملأنا بالكامل في تلك اللحظة التي فيها نصير كملائكة الله! ١.

﴿ في العالم العتيق سيرى كل أبناء الله وبناته الله، هؤلاء الذين نفوا قلوبهم (مت ٢٥: ٣٤). إرادته أن يعلن ذاته - كما هو - للكل، ولا يوجد شيء يعوق رؤيتها. وكما يقول القديس أمبروسيوس: ليس لدى أحد قدرة أن يرى الله كما هو بالحقيقة. لكن توجد حالات تجعل الله يكشف شيئاً عن ذاته للبشر، خاصة لبعض الأشخاص، وذلك بسبب الظروف التي وجدوا فيها، فيتأهل الإنسان لرؤية الله الواضحة بسبب الظروف المحيطة به. عندئذ يعلن الله عن نفسه، وهذا من فعل النعمة تمامًا. ومع هذا يوجد أمر آخر هنا، وهو أننا أحياناً لا نتأهل لرؤية الله في ظروف صعبة، لأننا لم نزرع النعمة في إنساننا الداخلي. لم نطلب الله لكي ننمو في النعمة! ٢.

﴿ يليق بنا أن نذكركم هي عظمة ذاك الإنسان القائل: لأننا نعلم بعض العلم، ونتبأ بعض التنبؤ حتى يأتي الكامل». فإنه حتى الآن توجد رؤية الملائكة القديسين الذين يدعون ملائكتنا، لأننا نحن إذ خلصنا من سلطان الظلمة، ونقتربنا غيرة الروح التي ألقانا إلى ملكوت المسيح وبذلنا فعلًا نلتزم إلى الملائكة الذين نشارك معهم في التمتع بروزية مدينة الله المقدسة والمبهجة! ٣.

﴿ حيث يبدأ هذا الإيمان العامل بالمحبة يخترق النفس، فإنها تميل خالٍ قوة الصلاح الحيوية أن تتغير في البصيرة، حتى أن ما هو مقدس وكلم في القلب يقتبس وممضات من هذا الجمال غير المعبر عنه الذي في كمال رؤيته تجد سعادتنا العظمى... نبدأ بالإيمان ونكمّل بالعيان! ٤.

¹ St. Augustine: On Seeing God, 21.

² St. Augustine: On Seeing God, 23.

³ City of God 22:29.

⁴ Enchiridion.

رؤيه الله مكافأة لإيماننا العامل بالحب

❖ هذه الرؤية محفوظة كمكافأة لإيماننا، يقول عنها الرسول يوحنا: "إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (1 يو 3: 2). نفهم "وجه الله إعلانه، ليس جزءاً من الجسد مشابهاً للذي في أجسادنا وندعوه بهذا الاسم^١.

❖ متى يمكن القول: "هذا هو الله؟ فإنه حتى حينئذ (في الدهر الآتي) عندما تراه، ما تراه لا يمكن وصفه. هكذا يقول الرسول إنه اختطف إلى السماء الثالثة، وسمع كلمات لا ينطق بها".

إن كانت الكلمات لا ينطق بها، فماذا يكون هو نفسه، ذلك الذي كلماته هكذا؟ لذلك عندما تذكر في الله، ربما تثور فيك فكرة شكل بشري بطريقه ضخمة للغاية وعجبية، تضعها أمام عينيَّ ذهنك كأمرٍ عظيمٍ وضخمٍ ومتسعٍ للغاية^٢.

❖ تعبير الرسول "وجهها لوجه" لا يلزمـنا أن نعتقد أننا سنرى الله بوجهِ جسدي، فيه عيناً الجسد، إذ سنراه بدون توقف في الروح، لو لم يشر الرسول إلى الوجه في الإنسان الداخل ما كان يقول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجهِ مكشوفٍ كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجدٍ إلى مجدٍ كما في الرب". فإنـنا بالإيمان نقرب إلى الله، والإيمان هو عمل الروح لا الجسد^٣.

❖ يراه البشر قدر ما يموتون عن هذا العالم، وقدر ما يعيشون له لا يرونـه. وبالرغم من أن هذا النور يبدأ يظهر بوضوح، ليس فقط بأكثر إمكانية لرؤيته بل وبأكثر بهجة، إلا أنه يرى كما في مرآة غامقة (لغز). فنقول إنـنا نراه، لأنـنا نسلك بالإيمان لا بالعيان، بينما نحن نجول في هذا العالم كغرباء حتى وإنـ كانت محادثـنا في السماء (1 كور 12: 12؛ 2 كور 5: 7). في هذه المرحلة يغسل الإنسان عينيَّ عواطفـه، ليـرى أنه لم يضع قريبـه أمامـه... لأنه بالحق لم يحبـه بعد نفسه^٤.

❖ إنـنا الآن نحن رُحْلٌ. إنـنا بعيدـون عن إلهـنا إلى حين، ولكنـنا مربوطـون بمدينتـه السماوية الأبدية (رو 21)، نسلـك بنوعـ من الإيمـان الذي يمسـك بالرؤـية الداخـلـية،

¹ City of God 22:29.

² Sermons on New Testament Lessons, 3:12.

³ The City of God, 22:30.

⁴ On Christian Doctrine 7.

كما س تكون عليه عند ظهوره (١ يو ٣: ٢)، وإن كنا لا نستطيع بالأعين البشرية
معاينة هدف إيماننا.

مِيلَ أَنفُسُنَا الطَّبِيعِيَّةُ هُوَ أَنْ نَطْلُبَ السَّلَامَ، وَلَكِنْ يَجُبُ أَنْ يَكُونَ سَلَامًا مِنْ نَوْعٍ
حَسْبَ تَبَيِّرَ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ، وَإِلَّا فَلَا وَجُودَ لِالسَّلَامِ نَهَايَاً. أَيْ نَوْعٌ أَخْرَى مِنَ السَّلَامِ
نَطْلُبُ... سَيِّقْطُ أَخْرِيًّا بِكُونَتِنَا رَحْلًا، أَيْ قَابِلُونَ لِلْمَوْتِ، نَطْلُبُ مَسْكُنَنَا الْأَبْدِيِّ مَعَ اللَّهِ
الْخَالِدِ. إِنَّا نَبْلُغُ الْعِبُورَ إِلَى الْأَبْدِيَّةِ، وَنَجْلِبُ نَفْوُسُنَا تَحْتَ تَبَيِّرَ اللَّهِ، وَنَعِيشُ فِي طَاعَةِ
لِتَوَامِيمِهِ الْأَبْدِيَّةِ الَّتِي تَضْبِطُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَتَغَيِّرُ.

الَّذِي نَفَرَ فِيهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ كَسِيدٌ لَنَا، يَعْلَمُنَا حَقِيقَتِنَا أَسَاسِيَّتِنَا عَنْ طَرِيقِ
السَّلَامِ الْأَبْدِيِّ الَّذِي يَعْبَرُ إِلَى حَيَاتِنَا: مَحْبَةُ اللَّهِ أَوْلَاءُ، وَمَحْبَةُ الْقَرِيبِ كِمَحْبَةِ الإِنْسَانِ
لِنَفْسِهِ. إِذْ نَعِيشُ هَذَا نَتَمَ نَامُوسُ اللَّهِ (مُت ٢٢: ٣٧-٣٩)...

بَيْنَمَا نَحْنُ هُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْأَرْضِيَّةِ، نَعِيشُ حَسْبَ الْحَقَائِقِ الْبَسيِطَةِ الْأَبْدِيَّةِ
الصَّادِقَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ...

قَدْرَ مَا نَسْتَطِعُ أَعْنَ الْأَحَدِ!

❖ لَسْنَا فِي حَاجَةٍ أَنْ نَصْدِعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا أَنْ نَهِيَطَ إِلَى أَعْمَاقِ الْأَرْضِ، لِنَجْدَ ذَلِكَ الَّذِي
مَعْنَا، فَإِنَّا فَقْطُ لِنَحْبِهِ وَنَشْتَاقُ أَنْ نَكُونَ مَعَهُ.

لَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى القَوْلِ: "وَمَاذَا أَحَبَّ؟"

أَحَبُّ أَخَاهُ، فَتَحِبُّ الْحُبُّ ذَاهِهً، سَتَرْعَفُ الْحُبُّ الَّذِي بِهِ تَعِيشُ أَفْضَلُ مِنْ أَخِيكَ الَّذِي
تَحْبِبُهُ، يُعْكِنُكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَخْ، لَأَنَّهُ أَفْضَلُ فِي الْحَضْرَةِ، وَأَكْثَرُ عَمَّا، وَأَكْثَرُ
تَأْكِيدًا.

أَحْمَلُ الْحُبُّ الَّذِي هُوَ اللَّهُ إِلَى قَلْبِكَ، وَبِالْحُبُّ احْتَضَنَهُ، إِنَّهُ ذَاتُ الْحُبُّ الَّذِي بِهِ
يَجْتَمِعُ عِبَادُ اللَّهِ مَعًا: الْمَلَائِكَةُ، وَالنَّاسُ، يَتَحَدَّدُونَ مَعًا فِي طَاعَةِ لَهِ.

مَنْ يَمْتَلِئُ حَبَّاً يَمْتَلِئُ بِاللهِ! يَقُولُ الْقَدِيسُ يُوحَنَّا: "مَنْ لَا يَحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي يَرَاهُ
لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحِبُّ اللَّهَ الَّذِي لَا يَرَاهُ." لِمَاذَا هَذَا؟ إِنْ لَمْ يَحِبُّ أَخَاهُ يَسُوكَ فِي الظُّلْمَةِ،
وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى النُّورَ. يَرَى أَخَاهُ فَقْطَ بِرَؤْيَةِ بَشَرِيَّةِ خَارِجِيَّةٍ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى اللَّهَ
الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ الْحُبُّ الَّذِي يَنْفَصِمُهُ. فَاللهُ وَأَخْوَنَا يُحَبَّانِ بِذَاتِ الْحُبُّ، لَأَنَّ اللَّهَ حُبٌّ.

¹ City of God, 14.

² On the Trinity, 8:8:12.

رؤيه الآب بواسطه الكلمة

❖ إذن ما نحن نوضحه أنها المحبوبون، الأمر الذي نسأله، كيف يرى الكلمة؟
كيف يرى الآب بواسطه الكلمة؟ وما هو الذي يراه الكلمة؟
لست أتجاسر هذا ولا أتهور فأعدكم إنني أشرح هذا لنفسي أو لكم. إنني أقدر
فياسكم وأعرف قياسي... .

لقد عني بذلك لأنهم بأن الآب يفعل بعض الأعمال التي يراها الآباء، والآباء يفعلون
أعمالاً أخرى بعد أن يرى ما فاعله الآب. وإنما كلاماً من الآب والآباء يفعلان ذات
الأعمال... فإن كان الآباء يفعلون ذات أعمال الآب، وإن كان الآب يفعل ما يفعله بالآباء،
فالآب لا يفعل شيئاً والآباء شيئاً آخر، إنما أعمال الآب والآباء هي واحدة بعينها... .
أقسم لكم مثلاً أظن أنه ليس بصعب عليكم، عندما نكتب خطابات تشكيل أو لا يقلوننا
وبعد ذلك بأيدينا... يقوم القلب واليد بعمل الخطابات. أتظنون أن القلب يشكل خطابات
والآيدي خطابات أخرى؟ ذات الخطابات يفعلها القلب عقلياً، وتشكلها اليد مادياً.
انتظروا كيف أن ذات الأمور تتم ولكن ليس بنفس الطريقة. لذلك لم يكن كافياً للرب
أن يقول: "مهما عمل الآب فهذا يعمله الآباء أيضاً"، لكن كان لازماً أن يضيف: "وينفس
الكيفية"... إن كان يفعل هذه الأمور بهذه الكيفية، إذن فليتبيّظوا، وليرتحم الـيـهـودـ،
وليونـمنـ المـسـيـحـيـ، ولـيـقـتـنـعـ الـمـبـنـدـعـ، فإنـ الآـبـ مـساـوـ لـلـآـبـ".

❖ لقد أوضح هو نفسه أيضاً هذا وأظهر لنا المعنى الذي يقصد به قوله: "فكل من سمع
من الآب وتعلم يقبل إلى"، أضاف للغور ما يمكننا أن نفهمه: "ليس أن أحداً رأى الآب
إلا الذي من الله، هذا قد رأى الآب".

ما هذا الذي يقوله؟ أنا أرى الآب، وأنتم لا ترونـهـ، ومعـ هذاـ فـأـنـتمـ لاـ تـأـتـونـ إـلـىـ ما
لمـ يـجـذـبـكـمـ الآـبـ. وماـ هوـ اـجـتـذـابـ الآـبـ لـكـمـ سـوىـ أـنـكـمـ تـتـعـلـمـونـ مـنـ الآـبـ؟ـ وـمـاـذاـ
تـتـعـلـمـونـ مـنـ الآـبـ إـلـاـ أـنـ تـسـمـعـوـنـ عـنـهـ؟ـ مـاـذاـ تـسـمـعـوـنـ عـنـهـ إـلـاـ أـنـ تـسـمـعـوـنـ كـلـمـةـ الآـبـ؟ـ
أـيـ تـسـمـعـوـنـ مـنـيـ؟ـ فـيـ هـذـهـ حـالـةـ عـنـدـمـاـ أـقـولـ:ـ "ـكـلـ مـنـ سـمعـ مـنـ الآـبـ وـتـعـلـمـ"ـ يـلـزـمـكـمـ
أـنـ تـقـولـوـاـ دـاخـلـ أـنـفـسـكـمـ:ـ لـكـنـنـاـ لـمـ نـرـ الآـبـ قـطـ،ـ فـكـيـفـ نـسـمـعـ مـنـهـ؟ـ اـسـمـعـوـنـ مـنـيـ،ـ فـإـنـهـ
"ـلـيـسـ أـنـ أـحـدـ رـأـيـ الآـبـ إـلـاـ الـذـيـ مـنـ اللهـ،ـ هـذـاـ قـدـ رـأـيـ الآـبـ".ـ آـنـ أـعـرـفـ الآـبـ،ـ آـنـ مـنـ

¹ St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 18:8.

الآب، ولكن بكوني الكلمة التي منه، ليس الكلمة التي تعطي صوتاً وتتغير، بل الكلمة الذي يبقى مع المتكلم ويكتسب السامع^١.

رؤية الرب في هيكله

♦ من الصعب أن ترى المسيح في الجمع، لذلك تلزم الوحدة لأنها لذاتها. فبالتأمل في عزلة يمكن رؤية الله. الجمع فيه صلب، والرؤية تتطلب سرية...

لا تبحث عن المسيح في جمع، إنه ليس كواحدٍ من الجمع، إنه يسمى على كل الجمع... حقاً رأى الرب في الجمع، إنما عرفه في الهيكل. جاء الرجل إلى الرب، رأاه في الهيكل، رأاه في الموضع المكرس المقدس (راجع قصة المولود أعمى - يوحنا ٩).

دعوة لرؤية الله^٢

♦ أتوسل إليكم أن تحبوا معي بالإيمان أن تجروا معي.
لنشتاق إلى مدينتنا الجميلة.

لنتأوه من أجل بيتنا السماوي.

لنشرع بالحق أننا نحن هنا غرباء.

ماذا سنرى عندئذ؟ لنذاع الإنجيل بخبرنا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله".

إنكم ستأندون إلى ينبوع، الذي قد أمرتُ عليكم بتدري خفيف من عنده.

عوض شعاع النور الذي أرسل إليكم بطرق منحدرة ومنعطفة في قلب ظلماتكم، سترون النور ذاته في كل نقاوته وبهائه.

سترون وتخبرون هذا النور الذي ينطهرون به الآن.

يقول يوحنا نفسه: "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون.

ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢).

أشعر أن أرواحكم ترتفع معي إلى السماوات العليا، لكن الجسد الفاسد يثقل النفس، وهذه الخيمة الأرضية تنقل العقل في تفكيره.

قد اقتربت أن ترك هذا الكتاب وأنتم تذهبون كل واحد إلى عمله.

¹ St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate 26:9.*

² St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate 17:11.*

³ St. Augustine: *Commentary on the Gospel of John (Tract. 35, 8-9; CCL 36, 321-323).*

حسن لنا أن نشارك معاً في النور العام، وحسن أن نتمتع معاً. وأن ننبع معاً.
عندما نرحل عن بعضنا البعض ليتنا لا نرحل عنه.

رؤيه الله بالعقل النقيه^١

في رسالة القديس أغسطينوس إلى سيدة شريفة تدعى *Italica* يعزّيها في نهاية زوجها كتب:

﴿ أي لسان يقدر أن يصف طبيعة ذاك النور وعظمته، الذي به كل هذه الأمور المختلفة في قلوب البشر سوف تعلم؟ من يقدر بامكانياتنا الضعيفة حتى أن يقترب إليه. ﴾

بالحق هذا النور هو الله نفسه، فإن الله نور، وليس فيه ظلمة البتة (يو ١: ٥)، ولكن هو نور العقول النقية، وليس نور تلك الأعين الجسدية. وعندئذ سيكون العقل قادرًا أن يراه، هذا لا يقدر عليه الآن... فإنه لا يمكن رؤيته بواسطة بشر خلال عضو جسماني، الذي به يرى البشر الأشياء الجسمانية.

لو أنه غير ممكن التلويح إليه بأذهان القديسين أيضًا، ما كان يمكن القول: "اقترموا إليه واستشاروا". وإن كان غير منظور لعقول القديسين ما كان قد قيل: "لأننا سنراه كما هو" (يو ٣: ٢). سنراه حسب القياس الذي فيه تكون مثله، فإنه الآن القياس الذي به لا نراه، هو حسب عدم كوننا مثله. سنراه بواسطة كوننا نصیر مثله. لكن من الذي في تيه يؤكد بأننا سواء هنا أو فيما بعد سنكون مثل الله في أجسادنا؟ الشبه الذي يتحدث عنه خاص بالإنسان الداخلي، "الذي يتجدد بالمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣: ١٠). كلما صرنا بالأكثر مثله، نتقدم بالأكثر في المعرفة وفي الحب. فإنه "إن كان إنساناً الخارج يقني، فالداخل يتجدد يوماً في يوماً" (٢ كو ٤: ١٦).

مناجاة لرؤيه الله

﴿ إلهي... ليتني أعرفك، يا من أنت تعرفي، ليتني أعرفك يا فوة نفسي! اكشف لي عن ذاتك، يا من تُعزّي نفسى!... ﴾

^١ St. Augustine: Letter 92 To the Noble and Justly Distinguished Lady *Italica*, 2, 3.

ليتني أعاينك، يا ضياء عيني!...
 أسرع يا بهجة نفسي، لأنامل فيك يا سرور قلبي!...
 ألهوني حبك، فأنت هو حياتي!...
 أشرق على، ففيك يكمن فرحي الحقيقي. فيك خذوبة راحتني. فيك حياتي، فيك
 كمال مجيدي!...
 ليتني أجدهك، يا شهوة قلبي!...
 ليتني أفتنيك، يا حبيببي!...
 لا تترك أحضاني، أيها العريس السماوي، فعند حلولك ينتاب كياني كله - داخلي
 وخارجي - نشوة فانقة علوية!...
 هبني ذاتك، أيها الملوك الأبدى، حتى أتمتع بك أيها الحياة المبارك. يا نهيل
 نفسى غير المدرك!...
 "أحبك يا رب قوتي؛ الرب صخرتى وحصنتى ومنقذى" (مز ١٨: ١).
 نعم، أعنيّ كي أحبك، فأنت هو إلهي. أنت حامي، أنت حصني المنيع. أنت رجاني
 العذب في وسط ضيقاتي...
 لأنتصق بك، فأنت هو الخير وحده، وبدونك ليس للخير وجود! لستك أنت كل
 سعادتى، يا كلى الصلاح!...
 افتح أعماق أذنى، فأسمعك أيها الكلمة الإلهي، يا من يخترق نفسى كسيف ذي
 حدين!...

آه! يا إلهي! أرعد من سماك بصوتك القوى (مز ١٣: ١١)! ليزار البحر وكل
 أمواجه، لتترزلل الأرض، وليرتعب كل ما عليها. أنزل عليهم بالصواعق، فيتبدد كل
 شئ فيهما. وفي النهاية اكتشف لأذنى أعماق المياه وأسس المسكونة (مز ١٨: ١٥).
 أيها النور غير المنظور، هب لي عينين تستطيعان معايتك! يا رائحة الحياة
 الإلهي، هب لي حاسة جديدة للشم، تجدبني نحو رائحة أطيابك الزكية!...
 ربى... نق في حاسة التذوق حتى تقدر أن تتنزوفك، وتتعرف عليك، وتكتشف غني
 بذلك المذكرة لكل من يرتفف رحيم محبتك!... هب لي قلبًا لا ينبض إلا بحبك، ونفسًا
 تعشقك، وروحًا أميناً لذكرك، وفكراً يدرك غور أسرارك، وعقلاً يستريح فيك ويتحد
 بحكمتك المحببة دائمًا، ويعرف كيف يحبك بتفوي، أيها الحب المذخر فيك كل حكمة!

أيها الحياة، لمجدك يحيا كل مخلوق. لقد وَبَتْتِ الحياة، وفيك حياتي. بك أحيا،
وبدونك أموت!...
بك أقوم، وبدونك أهلك!...
بك أمتئن فرحاً، وبدونك أهلك حزناً!...
أنت هو الحياة، مصدر الحياة، ليس شيء يوازي وداعتك وجمالك!...
أتُوسل إليك: أخبرني أين أنت؟ أين ألقاك، فاختفي فيك بالكylie، ولا يوجد إلا فيك!
آه! أسرع واجعل من نفسي مسكنًا لك، ومن قلبي مستقرًا!...
تعلّ... فإني مريض جدًا. بعدي عنك هو موت لي، وذكرك يُحيي نفسي!...
راحتك تعيد لي قوتي، وذكرك يخفّف آلامي، ظهورك شَيْعَ لي! (مز ١٠: ١٧)
يا حياة نفسي... قلبي يجري وراءك، وذوب عند تذكر خيراتك. متى يحين رحيلى
إلى ملوكتك؟! متى أحظى بمعاينة جمالك، أيها الحياة، سعادة قلبي!
لماذا تحجب وجهك عنّي، يا من أنت وحدك سعادة نفسي الوحيدة؟!
أين تختفي يا رب الجمال، يا نهاية كل طموحي.
راحتك التي أتقسمها تسکرنى بالحياة والدهن، هذا بالرغم من أثني لم أراك بعد،
لأنه مكتوب: لا يراني إنسان ويعيش (خر ٢٣).
حسناً، لو عملت بهذا التحذير فلن أراك. لكن، لأموت يا ربى وأراك. لأنك، لأنك،
يا ربى قبل أن أموت، فعندما أريد أن أحيا، أريد أن أموت. لـي اشتئاء أن أطلق
وأكون مع المسيح" (في ١: ٢٣)!
إنني أشتئي الموت لكى أراك. إنني لا أريد العيش بعد لكى أحيا بك!
إلهي يسوع... استلم حياتي، فائت حياتي!
اجذب قلبي، فائت هو فرحي!
أيها الغذاء الدسم، كن أنت شبعي!...
أيها القائد الإلهي، قوئي!
أيها النور الحقيقي الذي يضيء عيني، أفر لي!...
أيها اللحن العذب، أطرب كل نفسي!...
أيها الراحة السماوي، أتعشنى بك!...
يا كلمة الله ثبتتني فيك.

فرج نفس عبده... ادخل إلى نفسي، إليها الفرح الحقيقي، حتى تنتهي بك! ادخل إليها أنها العذوبة اللامائية، حتى تتمتع بالعذوبة الحقيقية، أهضن عليها شعاعك إليها النور الأبدى، حتى تعرفك وتدركك وتحبك!

لماذا لا تحبك، بل هي فاتورة من جهتك! عدم معرفتها إياك؟! وعدم معرفتها ناجم عن عجزها عن إدراكك. وعجزها هذا علىه عدم تقبيلها نورك، إذ "النور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو ١: ٥).

أيها النور الذي يضيئ النفس، إليها الحق البهى، إليها البهاء الحقيقى الاستضاءة، يا من تضيئ لكل إنسان آتى إلى العالم. أتيت إلى العالم، والعالم لم يحبك!...

البهى... بدد الظلمة الكثيفة التي تخيم على نفسي، حتى ترك عند إدراكها إياك. وتعزف عن تقبيلها لك، وتحبك عند معرفتها لك. إن كل من يعرفك يحبك! ينسى نفسه! يحبك أكثر من ذاته! يترك نفسه وينجذب إليك، ليتهل لذته في الاتحاد بك!

سيدي... إن كنت لم أحبك كما ينبغي، فذلك لأنني لم أعرفك بعد جيداً. فقلة معرفتي جعلت حبي لك فاتراً، وفرحي الذي أتعتن به ضعيفاً!

وينسى العبوديتى للمغريات الخارجية، الشغل عنك أنها السعادة الكاملة فى داخلى، وأحرم منك، وأذهب لكى أربط برباطات ننسى مع أباطيل هذا العالم! هؤلا فى بوسى، القلب الذى لك وحدك أن تملكه بكل عواطفه وأحاسيسه وتضحياته، قد وهبته أنا للأمور الباطلة، فصررت باطلأ بحبي للباطل! لهذا لم تعد بعد أنت فرحي، بل تركتك واندفعت أجري وراء محبة العالم الخارجى! مع أنك لا ترتاح إلا فى أعماق نفسي!

إننى أريد التلذذ بأعمال الجسد، وانت تود الابتهاج بروحى!
إننى أهلاً لثبى بأعمال الجسد، وأشغل بها ذهنى، وأجعلها محور حديثى، أما أنت يا إلهى، فتحيا في النفس غير المحسوسة، الخالدة!

أنت تملك فى السماء، وأنا أرمح على الأرض!

أنت تعشق الأعلى، وأنا أطلب السفليات!

أنت تشعل السماويات، وأنا خارق في الأرضيات!
ثرى، متى تقابل مثل هذه الميول المتعارضة؟!

رؤيه الله

عند القديس كيرلس الأورشليمي

اهتم القديس كيرلس الأورشليمي بالتأمل في الله المترانزي، وقد تحدث عن رؤية الله بعبارات سلبية. الابن والروح القدس وحدهما لهما رؤية نقية لطبيعة الآب بكونهما شركاء مع الآب بالكامل في الطبيعة الإلهية وواحد معه في ذات الجوهر. الابن وحده يرى الآب، والروح القدس يبحث الأعمق. الابن مع الروح القدس وبه يعلن اللاهوت للملائكة بالقدر الذي يتناسب مع درجاتهم وحسب قدرة كل واحد منهم.

مع أن ملائكة الأطفال يتأملون على الدوام وجه الآب، لكنهم لا يرون الله كما هو، وإنما بقدر ما يمكنهم أن يدركوا ويأخذوا هذا بالنسبة للملائكة، فماذا يكون بالنسبة للبشر في ضعفهم؟^١

❖ رب قائل يعرض: إن كان جوهر اللاهوت لا يقع تحت الحواس، فلماذا نتحدث في هذه الأمور؟

نعم، هل لأنني لا أستطيع أن أشرب النهر كله، يكون هذا سبباً في لا أستقي منه باعتدال قدر ما يناسبني؟!

هل لأن عيني تعجزان عن استيعاب أشعة الشمس في كمالها، لا أنظر إليها قدر ما أحتاج؟!

وإذا دخلت حديقة عظيمة، ولم أقدر أن آكل كل ثمارها، هل تزيد مني أن أخرج منها جائعاً؟!

إذن لا أسبّح الله خالقنا وأمجده، إذ وَهِبْتُ لِذَا وصيَّةَ إِلَهِيَّةَ تَقُولُ: كُلْ نَسْمَةً فَلَتَسْبِحَ الرَّبُّ" (مز ٦:٥).

إنني أسعى الآن لاقوم بتمجيد الله دون أن أصفه، عالمًا أنه بالرغم من عجزي عن القيام بتمجيد الله حسبما يستحق، لكن حتى هذا السعي هو من الأعمال التقوية. ويشجع رب يسوع ضعفي بقوله: "الله لم يره أحد في أي زمان".

^١ Lect. 6:2; 7:11.

^٢ مقال ٦:٥.

❖ رب قائل يعرض: ماذا إذن، ألم يكتب: "أن ملائكة الصغار كل حين ينظرون وجهه أبي الذي في السماوات" (انظر مت ٨: ١٠)؟ نعم لكن الملائكة ترى الله ليس كما هو، بل قدر ما تحتمل. إذ يقول يسوع المسيح: "ليس أحد رأى الآب إلا الذي من الله، هذا قد رأى الآب". فالملاك ترى الله قدر ما تحتمل، ورؤساء الملائكة يرون قدر ما يحتملون، والعروش والسلطانين يرون أكثر من السابقين، لكنها لا ترى كما يستحق الله^١.

فلابن، مع الروح القدس، وحدهما يقدران أن ينظروا بحقٍ كما هو، لأنه: "يفحص كل شيء حتى أعمق الله" (١ كور ٢: ١٠). هكذا الابن الوحيد مع الروح القدس يدرك أن الآب في كماله، إذ قيل: "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٢٧).

إذ يرى الكل حسب احتماله، لذلك فهو يرى الآب بكماله، معناً الله "الآب" خال الروح، إذ الابن مع الروح "واحد" مع الآب في اللاهوت.
المولود يعرف الوالد، والوالد يعرف المولود.

إن كان الملائكة جاهلين "بمعرفة الله في كماله"، فلا يخجل أحدكم من الاعتراف بجهله. حقاً إبني أتكلم الآن كما يتكلم أي إنسان في مناسبة ما، أما كيفية الكلام فاست أعرفه. إذن كيف أستطيع أن أخبركم عن واهب الكلام نفسه؟!
وإذا أقر أن أخبركم عن سمات النفس المميزة لها، فكيف أصف واهب النفس؟!

❖ نحن نؤمن بيده واحد، الآب غير المخصوص، غير المنطوق به، الذي "لم يره أحد من الناس"، بل "الابن الوحيد هو خير" (يو ١: ٢٨)، لأن "الذي من الله يرى الآب" (١ تي ٦: ١٦)، هذا الذي تراه الملائكة على الدوام في السماوات (مت ١٨: ١٠)

^١ تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله عن "العلمية الإلهية" ترجمة الأخت عايدة هنا فصل ٣ عن "قصر حكمه السمايين في التعرف على الله كما هو ولا أحکامه بكمالها". إذ يقول: "حقاً أن الله حتى بالنسبة لهذه الطفقات غير مدرك، ولا يقدرون على الدنو منه، لهذا يتازل بالطريقة التي جاءت في الرؤيا، لأن الله لا يحده مكان ولا يجلس على عرش... وأما جلوسه على عرش وإحاطته بالقوات السماينة إنما هو من قبل حبه لهم".

^٢ مقال ٦: ٦.

حسب درجة كل منهم. أما استنارة وجه الآب "في كماله" فستبقى في نقاوتها للابن مع الروح القدس^١.

❖ يستحيل علينا أن نتطلع إلى الله بأعين بشرية، لأن غير الجسدي لا يقع تحت الأعين الجسدية. وقد شهد الابن الوحد، ابن الله نفسه، قائلاً: "الله لم يره أحد في أي زمان". فإن فهم أحد مما ورد في حزقيال أنه رأى الله (حز ٢٨: ١)، فإنه ماذا يقول الكتاب المقدس؟ إنه رأى "شبه مجد الله"؛ وليس الترب ذاته كما هو في حقيقته، بل شبه مجد. فإن كانت رؤية شبه المجد تملأ الأنبياء رعدة، فالتأكد إن حاول أحد رؤية الله ذاته يموت، وذلك كالقول: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠) "لا يراني ويعيش". من أجل هذا فإن الله بخوا رحمته بسط السماوات أسمام لاهوته لكي لا نهلك. لست أقول هذا من عندي، بل هو قول النبي: "لَيْكَ تَثْقِ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزُلُ، مِنْ حَضْرَتِكَ تَنْزَلُ الْجَبَلُ" وتنزوب (إش ٦٤: ١).

لماذا تتعجب من سقوط دانيال عند رؤيته شبه المجد، إن كان دانيال عند رؤيته جبرائيل، الذي هو ليس إلا مجرد خادم الله، ارتعب للحال وسقط على وجهه، ولم يجرس النبي أن يجيئه بالرغم من أن الملاك نفسه جاء على شبه ابن بشر؟ (راجع دا ١٠: ١٨، ١٦، ٩). إن كان ظهور جبرائيل أربع الأنبياء، فهو يرى الإنسان الله كما هو ولا يموت!^٢

^١ مقال ٧: ١٩.

^٢ مقال ٩: ١.

رؤیة الله

عند القديس يوحنا الذهبي الفم

رؤیة الله وإدراکه

منذ بداية العصور أثیرت بعض الأسئلة الخاصة برؤیة الله وإدراکه خاصة عند دراسة مقالات القديس يوحنا الذهبي الفم عن عدم إدراك طبیعته الله وعطنه الخامسة عشر على إنجیل *Incomprehensibility of the Nature of God* القديس يوحنا.

واجه القديس يوحنا الذهبي الفم أونومیوس القائل بأن الله يمكن التعرّف عليه بالعقل، وإدراك جوهره بالذهن البشري. لذا اهتم بالرد على أتباع أونومیوس في كثير من مقالاته وكتاباته.

نستطيع أن نلخص آراءه في النقاط التالية:

١. رأى الأنبياء الله، لكنهم لم يروا جوهره، إنما بما لهم ذلك قدر ما يستطيعون. وقد أعلن ذلك النبي "كثرت الرؤى وبد الأنبياء مثلث تшибيات" (هو ١٢: ١٠)، كان الله يقول: [لا أعلن جوهري ذاته، إنما أنتازني (في رؤى) بسبب ضعف هؤلاء الذين يرونني^١.] وما هو هذا التنازع؟ إنه إعلان الله الذي يجعل نفسه منظوراً: [ليس كما هو، بل بالقدر الذي به يقدر الناظر أن يرى، أي حسب ضعف الناظرين في الرؤية^٢.]

يعلن القديس يوحنا أن كل هذه كانت أمثلة عن تنازله وليس رؤية الجوهر ذاته.

٢. هذه الحقيقة لا تخص البشر وحدهم، إنما تخص حتى الخليقة السماوية الروحية. هؤلاء يرون الله وجهاً لوجه، لكنهم أيضاً - في رأي القديس - لا يرون جوهره غير المدرك، بل يتمتعون حسب قدرة إدراکهم. إنهم يغطون أنفاسهم بسبب عجزهم عن احتمال حتى هذا التنازع للإعلان عنه^٣.

^١ *Incomprehensibility of the Nature of God*, 5:4. PG 48:740.

^٢ *Incomprehensibility of the Nature of God*, 3:3. PG 48:722.

^٣ *Incomprehensibility of the Nature of God*, 1:6 PG 59: 98.

يليق بنا أن نتشبه بالسمائيين، فهم ليس كأونوميوس يطلبون أن يتعرّفوا على جوهر الله، بل في غير انقطاع نمجه ونسجد له^١.

* يصبح الساروفيـم قـائـلـين: قدوس، قدوس، رب الصـابـاؤـوت... إن القـواتـ العـلوـيـةـ يـاخـذـ منـهـ الرـعـبـ كلـ مـأـخـذـ بـغـيرـ انـقـطـاعـ، فـهـيـ تـدـيرـ وجـهـهاـ، وـتـبـسـطـ أـجـنـحـتهاـ كـحـائـطـ، يـقـيـهـاـ مـنـ الإـشـعـاعـ غـيرـ المـحـتـمـلـ الصـادـرـ مـنـ قـبـلـ اللهـ، وـمـعـ ذـكـ فـمـاـ قـرـاهـ إـنـماـ هوـ صـورـةـ مـصـغـرـةـ لـالـحـقـيـقـةـ...

بينـماـ لاـ يـقـوـىـ السـارـوـفيـمـ حتـىـ عـلـىـ مـاـشـاهـدـةـ اللهـ الـذـيـ لـاـ يـتـجـلـىـ لـهـ إـلاـ كـتـنـازـلـ مـنـهـ حـسـبـ ضـعـفـهـمـ، نـرـىـ آـنـاسـاـ يـتـجـاسـرـونـ مـتـصـورـينـ فـيـ عـقـلـهـمـ الطـبـيـعـةـ عـيـنـهـاـ الـذـيـ يـعـزـزـ السـارـوـفيـمـ عـنـ إـدـرـاكـهـاـ. إـنـهـ يـزـعـمـونـ أـنـهـ قـادـرـونـ عـلـىـ التـلـطـعـ إـلـيـهـاـ بـوـضـوـحـ وـبـغـيرـ حدـودـ، اـرـتـعـدـيـ أـيـتـهـاـ السـمـاـوـاتـ وـانـدـهـشـيـ أـيـتـهـاـ الـأـرـضـ^٢.

* حـقـاـ إنـ اللهـ حـتـىـ بـالـنـسـبـةـ لـهـذـهـ الطـفـمـاتـ غـيرـ مـدـرـكـ، وـلـاـ يـعـكـنـ الدـنـوـ مـنـهـ. لـهـذـاـ فـهـوـ يـتـنـازـلـ لـيـظـهـرـ بـالـطـرـيـقـةـ الـتـيـ وـرـدـتـ فـيـ الرـؤـيـاـ. اللهـ الـذـيـ لـاـ يـحـدـهـ مـكـانـ، وـلـاـ يـجـلـسـ عـلـىـ عـرـشـ...ـ مـنـ قـبـلـ مـحـبـهـ لـنـاـ يـظـهـرـ جـالـسـاـ عـلـىـ عـرـشـ، وـتـحـيـطـ بـهـ القـوـاتـ السـمـائـيـةـ. عـرـشـ...ـ إـذـ ظـهـرـ عـلـىـ عـرـشـ وـأـحـاطـتـ بـهـ هـذـهـ القـوـاتـ، لـمـ تـقـدـرـ هـذـهـ القـوـاتـ عـلـىـ مـعـاـيـنـتـهـ، وـلـاـ اـحـتـمـلـتـ التـلـطـعـ إـلـىـ بـهـاءـ نـورـهـ، فـغـطـتـ عـيـنـهـاـ بـأـجـنـحـتهاـ، وـلـمـ يـعـدـ لـهـاـ إـلـاـ أـنـ تـسـتـحـ وـتـرـئـ بـتـسـابـيـخـ مـمـلـوـعـةـ مـجـداـ وـرـعـدـةـ مـقـدـسـةـ، وـأـنـاشـدـ تـشـهـدـ لـقـدـاسـةـ الـجـالـسـ عـلـىـ عـرـشـ^٣.

٣. إنـ كانـ اللهـ بـإـرـادـتـهـ الطـبـيـةـ يـتـنـازـلـ مـنـ أـجـلـ خـلـيقـتـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـيـةـ كـمـخـلـوقـاتـ ضـعـيفـةـ لـمـعـاـيـنـتـهـ قـنـرـ ماـ تـسـتـطـعـ أـعـيـنـهـمـ الضـعـيفـةـ، فـإـنـ هـذـاـ حـنـوـ بـلـغـ كـمـالـهـ فـيـ تـجـسـدـ الـابـنـ. الـابـنـ هوـ صـورـةـ اللهـ الـأـبـ غـيرـ المـنـظـورـ، وـهـوـ نـفـسـهـ غـيرـ مـنـظـورـ، بـتـجـسـدـهـ صـارـ مـنـظـورـاـ، لـلـنـاسـ بـلـ وـلـلـمـلـائـكـةـ أـيـضـاـ، مـفـسـرـاـ ذـلـكـ يـقـولـ الرـسـوـلـ: "الـلـهـ ظـهـرـ فـيـ الـجـسـدـ...ـ تـرـاءـيـ لـلـمـلـائـكـةـ" (١ تـيـ ٣: ٦). قـبـلـ التـجـسـدـ كـانـتـ الـمـلـائـكـةـ تـرـاهـ فـيـ أـفـكـارـهـاـ، تـتأـمـلـ بـطـبـيـعـتـهـاـ النـقـيـةـ السـاـهـرـةـ.

¹ In Joan, hom 15: 1.

² In Isai, Hom 2:2.

³ الآباء الأولون ، ١: العناية الإلهية للقديس يوحنا الذهبي الفم، تعریف عایدة حنا من ١٤-١٣.

هذا يحمل القديس جانبًا سلوكنا وليس لاهوتنا، إذ يقول إن الابن له وحده المعرفة الكاملة للجوهر الإلهي، بكونه مسؤولاً للأب، في حضنه. أما إعلانه لنا فحمل تفسيرًا أو توضيحاً أو إخبارًا عن طريق أعماله المعلوّة جبًا ومعجزاته وحياته وتعاليمه، لقد بقي الابن الغير منظور مختلفاً في لاهوته، فإنه حتى في تجليه سمح بظهور النور بالقدر الذي يمكن تعبيعتنا القابلة للموت أن تقبله. إنه مرة أخرى يتجلى لنا، لكن في صورة غامضة عن البركات المقبلة... في مرآة في لغز^١.

لقد فسر القديس قول السيد: "من رأني فقد رأى الآب" (يو 14: 9) هكذا: [هذا القول يعني: ليس ممكناً أن تراني، ولا أن ترى الآب. فقد قصد فيليب معرفته للمسيح خلال النظر، وإذا ظن أنه رأى المسيح، أراد أن يرى الآب على نفس المستوى، لكن يسوع أوضح له أنه في الواقع لم يره^٢].

٤. يعتبر القديس يوحنا الذهبي الفم البحث في جوهر الله خدعة شيطانية، تقدّم حياة الإنسان الروحية، وتخرّمه من نعمة الله، أذنًا: [هذا هم الشياطين... يقود الذين يطبعونه إلى خارج الحدود التي وضعها الله إلى أمورٍ أعظم، ولكن بينما يغوينا بهذه الأموريات، إذ يحرمنا من نعمة الله. ليس فقط لا يعطينا شيئاً إضافياً، بل ولا يسمح لنا أن نعود إلى حالنا السابق، حيث كنا في أمان وضمان. إنه يضللنا في كل الاتجاهات، ولا يترك لنا أساساً ثابتاً. هكذا سبب طرفة الإنسان الأول من الفردوس، إذ نفخه بتوقع معرفة أعظم، وكراهة أكبر، فكان أن حرم حتى مما كان فيه في ضمان^٣].

٥. يود القديس أن ينصب اهتمام المؤمن لا على التعرّف على طبيعة الله، إنما على التمتع بوجوده معه، وإعلان رائحة معرفته في حياته الروحية السماوية. [إننا نعرف الله أنه كائن، أما طبيعته فلسنا نعرفها بعد. إننا نشبه مجرة ملوكيّة، أينما وجئنا تتبعنا فيها الرائحة السماوية، الرائحة الروحية الزكية^٤].

¹ Ad Thead. Laps 1: 11 PG 61: 292.

² In Joan, hom 74: 1.

³ In Joan, hom 7: 1.

⁴ In 2 Cor. hom 5: 2.

٦. أُعلنَ الْقَدِيسُ أَنَّهُ لَيْسُ طَبِيعَةُ اللَّهِ فَعَلَى مُذْكَرَةِ، وَإِنَّمَا حَتَّى أَحْكَامَ عِنْيَاتِهِ بِنَا
وَنَدَابِيرِهِ مِنْ نَحْوَنَا فَوْقَ إِدْرَاكَنَا، فَفِي حَدِيثِهِ عَنْ مَرْضِ "الْعَثْرَةِ" قَاصِدًا تَشَكُّكَ الْإِنْسَانِ فِي
عِنْيَةِ اللَّهِ بِسَبِيلِ مَا يَحْلُّ بِهِ مِنْ ضَيْقَاتِ، يَقُولُ:

[مَا هِيَ عَلَةُ هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ؟ تَجَاهِلُ عِنْيَةَ اللَّهِ؟...]
تَرَى مِنْ فَاقِ بَوْلِسِ فِي حَكْمَتِهِ؟ أَخْبَرَنِي أَلَمْ يَكُنْ إِنَاءً مُخْتَارًا؟ أَلَمْ يَأْخُذْ لَعْنَةً
الرُّوحِ الْفَاتِحَةِ غَيْرَ الْمُنْتَوْقَ بِهَا؟ أَلَمْ يَكُلُّ الْمُسِيحَ فِيهِ؟ أَلَمْ يَسْمَعْ مَا لَا يَحْقِقُ لِأَنْسَانٍ أَنْ
يُنْطَقَ بِهِ؟ أَلَمْ يُخْتَنَطِ إِلَى الْفَرْدَوْسِ، وَارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ الْثَالِثَةِ؟ أَلَمْ يَجُوبُ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ
لَكِي يَجْذُبَ الْوَلَثَيْنِ إِلَى الْمَسِيْحِيَّةِ؟... وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلُ بِعَظَمَتِهِ وَحَكْمَتِهِ
وَفَوْتِهِ وَامْتَلَاهِ بِالرُّوحِ، إِذْ خَصَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْإِمْتِيَازَاتِ، عَنْدَمَا يَطْلَعُ إِلَى عِنْيَةِ اللَّهِ،
لَا فِي كُلِّ جَوَانِبِهَا، بَلْ فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْهَا، تَأْخُذُهُ الرُّعْدَةُ مُنْسَحِقًا، وَيَتَرَاجِعُ سَرِيعًا خَاضِعًا
لِلَّهِ غَيْرِ الْمُدْرِكِ...]

اَكْتَشَفُ الرَّسُولُ أَنَّهُ أَمَامٌ مُحِيطٌ وَاسِعٌ، وَإِذْ حَاولَ فَحْصُ أَعْمَاقَ هَذِهِ الْعِنْيَةِ ارْتَجَفَ
مَتْحَقِقًا اسْتَحَالَةً نَفْسِيرَ عَلَيْهَا، وَارْتَبَعَ قَدَمُهُ عِنْيَاتِهِ الْلَّاهِيَّاتِ غَيْرَ الْمَحْدُودَةِ وَلَا مُوْصَوَّفَةُ
وَلَا مُفْحُوشَةُ وَلَا مَدْرَكَةُ. تَرَاجَعَ فِي مَهَابَةِ مُتَعْجِبٍ، وَهُوَ يَقُولُ: "يَا لِعَمَقِ غَنْيِ اللَّهِ وَحَكْمَتِهِ
وَعِلْمَهِ!" (رَوْ ١١ : ٣٣).

لَقَدْ أَوْضَعَ بَعْدَ ذَلِكَ كَيْفَ تَلَامِسُ مَعَ أَعْمَافِهَا دُونَ أَنْ يَفْلُجَ فِي اسْتِئْصَانِهَا، قَائِلاً:
مَا أَبْدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ، وَطَرَفُهُ عَنِ الْاسْتِئْصَاعِ؟...
أَنْهِيَ حَدِيثَهُ وَقَدْ امْتَلَأَ عَجَبًا وَرُعْدَةً بِأَنْشُودَةِ شَكْرِ، قَائِلاً:
"لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ فَكَرَ الْرَّبُّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشَيرًا؟"
أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ، فَيَكَافِ؟
لَأَنَّ مَنْهُ وَبِهِ وَلِهِ كُلُّ الْأَشْيَاءِ.
لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِ. آمِينَ^١."

٧. يَرِيَ أَيْضًا أَنَّ مَعْرِفَتَنَا لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّهِ هَذَا مَحْدُودَةٌ وَغَایَةٌ فِي الْضَّالَّةِ، لَكِنَّا
سَنُعْرِفُ الْكَثِيرَ فِي الْحَيَاةِ الْأَبْدِيَّةِ، مَعْتمِدًا عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ: "لَأَنَّا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ... وَلَكِنْ
مَتَى جَاءَ الْكَاملُ، فَحِينَئِذٍ يُبَطِّلُ مَا هُوَ بَعْضٌ" (أَكْو ١٢ : ١٠ - ٩)... وَيَقَارِنُ الرَّسُولُ

^١ العِنْيَةُ الْإِلَهِيَّةُ: ٢.

المعرفة الحالية والمعرفة في الحياة الأخرى بمعرفة الطفل ومعرفة الرجل الناضج، أو التطلع في مرأة في لغز والنظر وجهاً لوجه (1 كو ١٢ : ١١ - ١٢)، ومع هذا فإن المعرفة الكاملة التي في الحياة الأخرى تقدم لنا قدر ما نستطيع أن ندرك هناك.

﴿ إن كان (الله) لا يرى، لكنه موجود وحاضر الآن، وسيظهر بعد ذلك. لهذا توجد حاجة إلى الصبر، فإنه لهذه الغاية قبلتم العجائب حتى تصيروا بها ثابتين ١ .

فيما يلى ترجمة للعظة الخامسة عشر على إنجيل القديس يوحنا التي تحمل ذات الأفكار الواردة في مقالاته الآتى عشر عن عدم إدراك طبيعة الله:

﴿ الله لم يره أحد قط﴾ (يو ١ : ١٨). بماذا تجيب على الصوت القدير لإشعياء القائل: رأيت الرب جالساً على عرش عالٍ ومرتفع (إش ٦ : ١)؟ وعن يوحنا الذي يشهد له: ﴿ قال إشعياء هذا حين رأى مجده﴾ (إش ٦ : ١). وماذا تجيب عن حزقيال القائل إله رأه أيضاً جالساً فوق الشاروبيم (حز ٢١ : ١)؟ وماذا عن موسى نفسه القائل: ﴿ اكتشف لي عن مجده لكي أراك لأعرفك﴾ (خر ٣٣ : ١٣ LXX)؟ وماذا عن دانيال القائل: ﴿ جلس القديم الأيام﴾ (دا ٧ : ٩)؟ ويعقوب أخذ اسمه عنه نفس الأمر، فقد ذُعِنَّا "إسرائيل"، إذ تعنى الكلمة "يرى الله".

لأن كيف يقول يوحنا: ﴿ الله لم يره أحد قط﴾؟ هذه إعلانات، كلها أمثلة عن تنازله، وليس رؤى لجوهره بالكشف عنه. لأنهم لو نظروا جوهره ذاته لما رأوه تحت أشكال مختلفة، إذ هو بسيط، بغير شكلٍ ولا أعضاءٍ ولا أساليبٍ محددةٍ. طبيعته لا تجلس ولا تُقْتَل ولا تُتمشى، فلن هذه الأمور كلها تخص الأجساد، أما كيف هو... هو وحده الذي يَعْلَمُ، هذا ما أعلنه بواسطة النبي قائلًا: ﴿ اكتُثُر الرؤى، وبِيدِ الْأَتْبَيَاءِ مُثُكْ أَمْثَالًا تَشَبِّهَاتٍ﴾ (هو ١٢ : ١٠)، بمعنى: أني أتنازل، ولست أظهر كما أنا حقيقة.

فإذ كان ظهور ابنه في الجسد قد اقترب، هياهم منذ القديم لرؤيه الله قدر ما يستطيعون. أما ما هو الله حقاً، فإنه ليس فقط لا يراه المؤمنون، بل ولا يراه الملائكة ولا رؤساء الملائكة. إذ سألتهم تسمعهم لا يجيبون بشيءٍ عن جوهره، بل يرسلون: ﴿ المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة﴾ (لو ٢ : ١٤).

¹ In 1 Cor. Hom. 2:6.

إن أردت أن تعرف شيئاً عن الشاروبيم والساروفيم اسمع التسبحة السرية التي تخص قداسته: "السماء والأرض ملوعتان من مجده" (إش ٦ : ٣)، إذ يقول داود: "سبحوه يا كل جنوده" (مز ١٤٨ : ٢).

إن سألكم عن القوات العلوية تجدون ععلمهم الوحيد هو تسبيح الله، لكن الابن وحده هو الذي يراه والروح القدس.

كيف تقدر طبيعة مخلوقة أن تعين الطبيعة غير المخلوقة؟

إن كنا لا نقدر مطلقاً أن نشاهد أية قوة روحية حتى المخلوقة مثل الملائكة، فكم بالأحرى لا نقدر أن نرى الجوهر الروحي غير المخلوق، لذلك يقول بولس: "الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١ تي ٦ : ١٦). هل هذه الخاصية تخص الآب وحده دون الابن؟ حاشا لنا أن نفكّر هكذا! إنما تخص الابن أيضاً. لكي تعرف هذا، اسمع بولس الذي يقول عنه ذات الأمر: "صورة الله غير المنظور" (كو ١ : ١٥). فإن كان هو صورة غير المنظور يتلزم أن يكون غير منظور، وإلا فلا يمكن صورته.

لا تتعجب من بولس حين يقول في موضع آخر: "الله ظهر في الجسد" (١ تي ٣ : ٦)، فقد تحقق الظهور خلال الجسد، لكن ليس ظهوراً للجوهر.

أضف إلى هذا أن بولس يتحدث عنه كغير منظور، ليس فقط بين البشر، بل وأيضاً بين القوات العلوية، إذ بعد قوله "ظهر في الجسد" يقول "تراءى لملائكة". عندما لبس الجسد صار منظوراً حتى بالنسبة للملائكة. أما قبل قلم نزه الملائكة، إلا جوهره غير منظور حتى بالنسبة لهم.

ربما يسأل البعض: إذاً كيف يقول المسيح: "لا تحقروا أحد هؤلاء الصغار، لأنّي أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات" (مت ١٨ : ١٠)؟ هل الله وجده؟ وهل يُحد بالسموات؟ يا له من جنون أن نزعم هذا.

إذن ما هو معنى هذه الكلمات؟ إنها كقوله: "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ١٨ : ٥). إنه يقصد الروحية العقلية الممكنة لنا، حيث يكون لنا الله في فكرنا. وهذا أيضاً بالنسبة للملائكة، فإننا نفهم أنه بسبب ثقاوة طبيعتهم الساحرة لا يفعلون شيئاً سوى أن يتصوروا الله على الدوام أمامهم.

لهذا يقول المسيح "لا أحد يعرف الآب إلا الابن" (مت ١١ : ٢٧). ماذان، هل جميعنا نجهل الآب؟ حاشا، لكن ليس أحد يعرفه بمعرفة الابن له. كثيرون رأوه في شكل

رؤى يسمح لهم بها، لكن ليس من يرى جوهره. كثيرون منا يعرفون الله، أما جوهره فلا يعرفه أحد، غير المولود منه. إذ يقصد بكلمة "يعرف" أن تكون له فكرة دقيقة وإدراك كما للأب نحو الابن. "كما أن الآب يعترفني، أنا أعرف الآب" (يو 10: 15).

لاحظ بأي كمال يتحدث الإنجيلي، فإنه إذ يقول: "الله لم يره أحد قط"، لا يمكن القول: "الابن الذي يرى هو خبر" إنما يتحدث عن الرؤية بأكثر من هذا يقول، "الذي هو في حضن الآب هو خبر". فمن يكون في الحضن تغنى أكثر من الرؤية. فمن يرى فقط لا تكون له معرفة دقيقة في كل شيء، أما الذي في الحضن، فلن يجهل شيئاً عنه... .

إنه يشير إلى الابن الحقيقي، الواحد، الذي له ثقة عظيمة نحو أبيه، والذي ليس بأقل منه¹.

❖ ماذا إذن؟ هل الله جسد؟ لا يمكن! فإن الرؤية التي يتحدث عنها ليست بجهة من الجهات جسماً، فالبصير هنا إنما يريد به بصيرة العقل، وفي هذه الجهة بين السيد المسيح أن جوهره هو جوهر أبيه. هنا يعلن عن الشركة في ذات الجوهر².

❖ طوبى للأنبياء القلب، لأئمهم يعاينون الله" (مت 5: 8)... لا يوجد شيء أعظم نحتاجه لكي نعاين الله مثل هذه القضيلة الأخيرة. لهذا قال بولس: "اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد رب" (عب 12: 4). يتحدث المسيح هنا عن معاينة عظيمة بمقدار ما هو ممكن للإنسان أن يحظى بها³.

❖ "فَبَلَّا نَنْظُرُ الآنِ فِي مَرَأَةٍ، فِي لَغْزٍ (مرأة غامقة)، لَكِنْ حِيلَّذَ وَجْهًا لَوْجَهٍ" (1 كور 13: 12)... حتماً ليس الله وجه، لكن بولس يستخدم هذه الصورة ليشير إلى وضوح أعظم وفهم أعمق.

إذ يجلس أحد في ظلمة الليل لا يجر وراء نور الشمس ما دام لا يستطيع أن يراه، ولكن إذ يحل الفجر، ويبدا بهاء الشمس أن يشرق عليه، فإنه سيتبع نورها⁴.

¹ In Joan, hom 15: 12.

² Hom. 69, PG 59: 409.

³ In Matt. Hom. 15:6.

⁴ In 1 Cor., hom., 34:2.

الاقتراب من المائدة المقدسة ورؤية الله
• كأن الإحسان قد أخذ إلى السماء عينها، يقف بجوار عرش المجد، يطير مع السارو فيم،
يترنم بالتسبيحة المقدسة^١.

التجلّى ورؤية الله

في لحظات التجلّى انطلق السيد المسيح بتلاميذه الثلاثة بطرس وبعقوب ويوحنا إلى جبل تابور، ومن هناك عبر بهم فوق المكان والزمان. قدم لهم رحلة تُغيّر بهم فوق التاريخ، ليسطع بنور لا هوته الأزلية أمامهم. لقد حجب عنهم قليلاً ذلك الجسد الذي حجب مجد لا هوته، وتجلّى أمامهم، مظهراً لهم بهاء جمال مجده قدر ما يحتملون. لقد تغيرت هيئة فصار يضيء كالشمس، وفي نفس الوقت قام بتغيير حواسهم حتى يمكنهم التمتع بهذه الرؤية. فإن كان السيد قد تجلّى لكي يكشف جزئياً مجد بهائه ففي نفس الوقت دخل بتلاميذه كما إلى الفردوس، واهبنا إياهم القدرة على معاينته.

رؤية الله فيما نحتاج لا إلى تجلّى السيد المسيح فيما، فحسب ليعلن المجد الذي له والذي أخفاه عن أعيننا الضعفية حتى لا تُصاب بالأذى، وإنما نحتاج أيضاً إلى نعمه الله الفائقة ليتجلى داخلنا بالمجد الموهوب لنا خلال الشركة مع الله في ابنه بالروح القدس، فتقذر عيوننا على التطلع إليه. يمكننا القول أننا نصير نوراً للعالم ونار حب لا يخمد. بهذا ندرك قول الرسول: "لا أحيا أنا، بل المسيح يحياناً" (غل ٢: ٢٠).

يقول القديس غريغوريوس الاهوتى: إن الألوهه التي ترأت للتلميذ على الجبل كانت نوراً^٢. ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: تراءى الرب أكثر تلقاء عندما أبدت الألوهه أشعتها". ويسميها القديس مقاريوس الكبير: "مجد الروح القدس".

^١ المؤلف: المسيح في سفر الإفخارستيا، ١٩٧٣، ص ٤٤١.

^٢ العلة ٦: ٤٠ PG 36:363 A

رؤيه الله

عند القديس كيرلس السكندري

بلغ اللاهوت السكندري كماله في التعبير في القرن الخامس في فكر القديس كيرلس السكندري، مرتفعاً بفكرة تجديد المؤمن ليصير على صورة خالقه كهدف سامي للخلق، متحرراً من كل أثر أوريجاني.

يقدم القديس كيرلس لاهوتاً حقيقياً، لاهوت الثالوث القدس حيث لا يوجد مجال إلا له الفلاسفة.

حسب كلمات الرسول بطرس الطبيعة المخلوقة مدعوة لشركة الطبيعة الإلهية. اللوغوس هو وحده الآبن بالطبيعة، لكن بالتجسد نصير أبناء بالشركة. فالشركة مع الآبن يضيء فيها جمال طبيعة الثالوث غير المدرك، كما يضيء الناز في الحديد عندما يصير حمراً^١. نصير مثل الآبن، أبناء بالشركة، لشركة الطبيعة الإلهية، أو اتحادنا مع الله في الروح القدس^٢. يجعلنا الروح القدس على شكل الآبن، كما صورة الآب^٣.

الروح القدس ليس فقط مصدراً للحياة الروحية، بل هو أساس المعرفة التي تجعلنا نشعر بهذه الحياة في النعمة.

رفع المسيح عينيه ليعلن أن الذين يحبونه يتاهلون للنظره الإلهية. وكما قيل لإسرائيل في البركة: "يرفع الرب وجهه عليك، ويمنحك سلاماً" (عد ٦: ٢٦).

يقول القديس كيرلس الكبير:

[أراد (زكا) أن يرى يسوع، لذا تسلق شجرة جميل، هكذا نمت في داخلي بذرة الخلاص. وقد رأى المسيح بعيني اللاهوت (إيمان زكا)، وبرؤيته هذه نظره أيضاً خلالي عيني الناسوت، فبسط له لطفه وشجعه، فقلل له: "أسرع وانزل".

^١ PG 74:189B.

^٢ Relic 34 PG 75:598.

^٣ On St. John PG 74:541.

طلب أن يراه، فعاقته الجموع، لكن لم تعرفه الجموع مثلاً عاقته خطاياه. لقد كان قصيراً القامة لا من جهة الجسد فحسب، وإنما روحياً أيضاً.
لم يكن له طريق آخر ليراه سوى أن يصعد فوق الأرض متسلقاً شجرة جميز، هذه التي كان المسيح مزمعاً أن يمر بها.
الآن تحمل هذه القصة في داخلها رمزاً، إذ لا يمكن لإنسان أن يرى المسيح ويؤمن به ما لم يصعد شجرة الجميز، بمعنى أنقاضه لأعضائه التي على الأرض، الزنى والنجاسة الخ^١.]

هذا وقد قدم البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيراً مشابهاً لفكرة القديس كيرلس الكبير في الفرات الأخيرة السابقة إذ رأى في شجرة الجميز شجرة تحمل ثمراً ضعيف القيمة؛ بهذا لا يقدر أحد أن يعاين السيد المسيح ما لم يرتفع بالإيمان فوق الأمور الزمنية التافهة كشجرة جميز، يعلو عليها بتأمله في الإلهيات وتنعمه بالحكمة السماوية^٢.

¹ Hom on Luke, homily 127.

² Morals 27: 46

رؤیة الله

عند القديس أمبروسيوس

يرى القديس أمبروسيوس في صعود زكا قصیر القامة شجرة الجميز لرؤیة السيد المسيح إشارة إلى ارتفاع المؤمن الذي بسبب الخطية صار قصیر القامة محرومًا من رؤیة السيد فوق حرف الناموس، فلم يعد بعد تحت الناموس، بل مرتفعاً بالروح فوق الناموس ليعلن بالنعمۃ السيد المسيح. وكان صعود شجرة الجميز هو انطلاق من الفكر الحرفی في تفسیر الكتاب المقدس إلى التمتع بالفکر الروحی العمیق خلال شجرة الصليب المقدسة.

ويعلق القديس أمبروسيوس على دعوة الفرسین "عياناً" موضحاً أنهم بلا عذر فقد رأوا السيد المسيح، لكن حسب الجسد، ببصیرة روحیة عمیاء، إذ أظلم الرباء وحرفة العبادة قلوبهم، قائلاً: [لَمْ يَبْصِرْهُ الْيَهُودُ مَعَ أَنَّهُ رَأَوْهُ]. غير أن رجال الإيمان من أسلافهم لم يروا الرب بالجسد، لكنهم عاينوه روحیاً، إذ لهم البصیرة المستبررة، لهذا يقول الكتاب إن الشعب كان يرى صوت الله (خر ٢: ١٨). ويعلق القديس، قائلاً:

أَنَّ الْوَاضِعَ أَنَّ الصَّوْتَ يُسْمِعُ وَلَا يُرَى، فَمَا الصَّوْتُ إِلَّا مُوجَاتٌ تَسْمَعُهَا الْأَذْنُ، وَلَا تَرَاهَا الْأَعْيُنُ. هَذِهِ فَكْرَةٌ عَمِيقَةٌ دَفَعَ مُوسَى لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُرَى صَوْتُ الرَّبِّ، يَرَاهُ دَاخِلَ الْقَلْبِ حِيثُ يَشْخُصُ إِلَيْهِ بِعِينِيهِ (الْأَدَمْلَيْتِينَ) ...

رأء إبراهيم كما هو مكتوب: "إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنَّ يَرَى يَوْمِي" (يو ٨: ٥٦).. رأى الرب مع أنه بالتأكيد لم ينظره بالجسد... الذين صرخوا: أصلبه، أصلبه، لم يروه، لأنهم لو عرّفوا رب المجد لما صليوه^١ (كو ٢: ٨).

و جاء تفسیر القديس أمبروسيوس (لو ١: ١١) يحمل ذات الفكرتين أن الله وملائكته يظہرون حينما يريد الله، كعطیة إلهیة، وأن القلب الذي يعلن الله، فمن كلماته:

❖ إننا نرى الله عندما يريد ذلك، لكننا لا نستطيع أن نراه بطبيعته كما هو... ظهر لإبراهيم لأنه أراد ذلك. لكن إن لم يرد الإنسان، فلا يظهر له الله.

¹ In Luc tr 1:6.

² In Luc 1:5,6.

رأى القديس إستفانوس المساوات مفتوحة، وابن الإنسان قالما عن يمين الله، بينما كان الشعب يترجمه (أع ٧: ٩)، ولم ينظر الشعب الله. أيضاً أبصر إشعيا السيد رب الجنود (إش ٦: ١)، لكن أحداً غيره لم يستطع أن ينظره.

❖ ما الذي يدهشنا إن كان لا يرى أحد الله في هذا العالم إذ هو غير منظور، فلا يرى ما لم يكشف هو عن ذاته؟ إنما في القيمة لا يراه غير أتقياء القلب، لأن "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعainون الله" (مت ٥: ٨). لقد طوبَ الرب الكثرين، لكنه لم يعد بمعاينته الله إلا لأنقياء القلب.

❖ لا نعain الله في مكان ما، بل في القلب النقى، لا تبحث عن الله بالعين الجسدية... بل من يستطيع أن يدرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو، ويعرف محبة المسيح الفانقة المعرفة (أف ٤: ٢٠)، فبرأفة الله علينا ورحمته يبلغ بنا إلى قياس قامة ملء المسيح حتى تستطيع أن نعاينه.

❖ رأى التلاميذ كلمة الرب وسمعوا... هؤلاء الذين شاهدوا مجد الكلمة مع موسى وإيليا (مت ١٦: ٣) رأوا الرب يسوع، إذ شاهدوه في مجده، أما الآخرون (اليهود) فلم يروه، هؤلاء الذين عرفوه حسب الجسد، إذ أعطى لل بصيرة الروحية، لا للعيون الجسدية، أن ترى يسوع. لم يره اليهود مع أنهم أبصروه (جسدياً). أما إبراهيم فقد رأاه كما هو مكتوب: "أبويكم إبراهيم تهالَّ بأن يرى يومي، فرأى وفرح" (يو ٨: ٥٦) مع أنه بالتأكيد لم يره حسب الجسد... غير أن اليهود لم يروه، إذ "ظلم قلبهم الغبي" (رو ١: ٢١)... عندما نرى الرب ترى عصائر، فندرك أن الله معنا، أما من لا يبصر الله معه، فإنه لا يعرف بعد مولود العذراء.

❖ لقد طوبَ الرب الكثرين، لكنه لم يعد بمعاينة الله سوى لأنقياء القلب... إننا لا نعاين الله في مكان ما، بل نعاينه في القلب النقى. لا تبحث عنه بالعين الجسدية، فإنه لا يُحد بالنظر، ولا يسمع الأذن، ولا يُعرف بخطواته، وإنما وهو خاتب (بالجسد) نراه، وقد يكون موجوداً (بالجسد) ولا نراه. لم يره جميع التلاميذ لذلك قال: "أنا محكم زماناً هذه مدته ولم تعرني يا فيليب؟" (يو ١٤: ٩)، أما من استطاع أن يدرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو ويعرف محبة المسيح الفانقة المعرفة (أف ٣: ١٩-١٨)،

فإله يرى المسيح، ويرى الآب أيضاً. لأننا "الآن لا نعرف المسيح حسب الجسد" (كورنيليوس ١٦:٥) بل حسب الروح... فليترافق الله علينا ويرحمنا ويملانا إلى ملء الله حتى نستطيع أن نعاينه^١.

❖ تحمل كافة هذه الأمور في طياتها أسراراً ومعانٍ صحيحة، فإله حسب قدرتك يصغر الكلمة أو يكبر بالنسبة لك، فإن لم تصعد إلى القمة بحذرك فائق لدن تُعلن لك "الحكمة"، ولا تكتشف أمامك معرفة الأسرار، ولا تظهر لك أمجاد كلمة الله وجماله، إنما يظهر لك كلمة الله كما في الجسد لا منظار له ولا جمال (إش ٥٣:٢) يظهر لك كإنسانٍ أصناد الآلام، يحمله لأجل ضعفنا. يظهر لك مثل كلمة غلقتها ملابس الحرف، ولا ترقى إلى قوة الروح^٢.

❖ من يرتفع فوق العالم، فوق أزمنة الدهر، ويثبت في الأعلى ينطبع إلى ثمار الأبدية التي للقيامة العتيدة. إذن فلتختطى أعمال الحياة حتى نستطيع أن نرى الله وجهها نوجه^٣.

^١ تفسير لوقا مقال ١: ٢٧.

² In Luc 9: 28-31.

³ In Luc 9: 28-31.

رؤيه الله

عند القديس أنبا أنطونيوس الكبير

رؤيه الله في الكتابات التسكينية

نكشف سيرة القديس أنبا أنطونيوس التي سجلها البابا أثاسيوس الرسولي عن طريقه التسكي أنه لا يحمل اتجاهًا تأملناً كأعظم من العمل، أو حتى كخالية. لكن الطريق التسكي هو طريق الصلاة الدائمة والسهر مع ممارسة الحياة الفاضلة عمليًا. هو طريق الجهد من أجل عدم الفساد، حيث يصارع الإنسان ضد قوات الظلمة من أجل تنفيذ وصايا الإنجيل، خاصة وصية محبة الله ومحبة الغريب.

وفي القوانين الرهبانية للقديس باسيليوس الكبير الحياة الرهبانية كصراع روحى من أجل عدم الفساد. يقدم لنا جماعة مسيحية مثالية، تتذكر ذاتها في حياة الطاعة، لا مكان للمعرفة التأملية فيها.

اعرف نفسك تعرف الله

❖ من يعرف نفسه يعرف الله، ومن يعرف الله يعرف أيضًا تدابيره التي يصنعها من أجل خلقه.^١

❖ من عرف نفسه عرف الله، ومن عرف الله يستحق أن يبعده بالحق.^٢

رؤيه الله والقداسة

❖ لا تعطوا نعasaً لأنعينكم، ولا ثومًا لأجفانكم (مز ١٣٢: ٤)، حتى تقدموا أنفسكم ذبيحة الله في كل قداسة، لكي ما تروه. لأنه بدون قداسة لا يستطيع أحد أن يرى الله كما يقول الرسول (عب ١٢: ١٤).^٣

^١ الرسالة الثالثة.

^٢ الرسالة الرابعة.

^٣ الرسالة الخامسة.

❖ الذهن الذي يحيا في نفس نقية الله (منفذة للوصية)، يرى بالحق الله غير المنظور ولا موصوف... يرى الله الذي وحده ظاهر بالنسبة للطاهرين.

الرؤى السماوية والمناظر المخادعة

يَقُلُّ لَنَا الْقَدِيسُ انْطَوْنِيوسُ الْكَبِيرُ تَمِيزًا بَيْنَ الرُّؤْيَ السَّمَاوِيَّةِ وَالْمَنَاظِرِ الْمَخَادِعَةِ، فَالْأُولَى حَتَّى إِنْ بَدَأَتْ بِخُوفٍ أَوْ اضْطَرَابٍ، لَأَنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يَعْتَدْ رَوْيَتَهَا، إِذْنَهَا تَبْعَثْ سَلَامًا حَقِيقِيًّا فِي النَّفْسِ، أَمَّا الْآخِرَى فَتَفْعَلُ النَّفْسَ سَلَامَهَا. الْأُولَى تُلْهِي الْقَلْبَ بِالسَّمَانِيَّاتِ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَتُشَعِّلُ الْذَّهَنَ وَتُرْبِكُهُ بِالزَّمَانِيَّاتِ، إِذْ يَقُولُ:

❖ ظَهُورُ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ (الْمَلَائِكَةِ) هَادِئٌ وَصَالِمٌ، يَخْلُقُ فَرْحَةً فِي النَّفْسِ وَشَجَاعَةً، لَأَنَّ الْرَّبَّ فَرَحَنَا. الْأَفْكَارُ الَّتِي تَخْلُقُهَا هَذِهِ الظَّهُورَاتُ تَجْعَلُ النَّفْسَ غَيْرَ مُتَرْعِزَّةٍ حَتَّى تُتَبَرَّأَ مِنْهَا بِهَذَا الْفَرَحِ، فَتَعْرُفُ مَا هِيَ الْأَرْوَاحُ الَّتِي تَظَاهِرُ لَهَا، إِذْ أَنَّ الشَّوْقَ الْإِلَهِيَّ وَشَوْقُ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ يَدْخُلُنَّ النَّفْسَ وَيَتَحَدَّانَ بِهَا.

إن كان يوجد من يخاف من ظهور الأرواح الشريرة، فهذا الأرواح (الصالحة) تطرح عنده الخوف جانبًا بالمحبة التي تظهرها كما فعل جبرائيل مع زكريا (لو ۱: ۳)، وكما فعل الملائكة الذي ظهر للنسوة عند قبر الرب (مت ۲۸: ۵)، وعندما ظهر للرعاة قال لهم: لا تخافوا (لو ۲: ۱۰).

إن خوف هؤلاء لم يكن نتيجة الخوف، بل نتيجة اليقين بظهور الملائكة الصالحين؛ هذا هو ظهور الملائكة القديسين¹.

❖ إِذَا مَا رَأَيْنَا أَرْوَاحًا وَأَثَارَتْ اضْطَرَابًا وَضَرَبَاتَ خَارِجِيَّةَ وَتَخَيلَاتَ دُنيَويَّةَ وَتَهْدِيَّةَ بِالْمَوْتِ وَكُلَّ مَا ذُكْرَنَاهُ، فَتَعْرُفُ أَنَّ هَذَا هُوَ هُجُومُ أَرْوَاحٍ شَرِيرَةٍ².

¹ Vita Antonii 35.

² Vita Antonii 36.

رؤيه الله عند القديس أوغريس

رسمه القديس باسيليوس أغسطسياً، والقديس غريغوريوس أسقف نيقودن شماسياً، وكان مرافقاً للقديس غريغوريوس التزيزلي إلى القسطنطينية متطلعاً إليه كأستاذ له. مع هذه الصلة القرية بالأباء الكبادوكيين العظام إلا أنه شكل مفاهيمه من قراءاته لأوريجينوس. جاء إلى مصر عام ٣٨٣م ودخل الدير في نترية، لكنه سرعان ما انتقل إلى منطقة القلاسي في الإسكندرية حيث وجد مكاناً مناسباً بالأكثر للحياة التأملية.

اتهمه القديس جيروم بالأوريجانية، كما أدين بعد ١٥٠ عاماً مع أوريجينوس. بقيت كتاباته التي ترجمت إلى السريانية والقبطية واللاتينية متداولة بين الرهبان، أحياناً تحت اسم القديس باسيليوس، وأخرى تحت اسم القديس نيلس السينائي. جاءت أعماله في ثلاثة مجموعات تطابق مراحل الحياة المسيحية في فكر

أوريجينوس وهي:

١. الحياة العاملة.

٢. المعرفة؛ أو التأمل في الطبيعة العاقلة والمحسسة.

٣. الثيولوجيا *Theologia* أو المعرفة الإلهية. حسب أوريجينوس هي "التأمل في الطبيعة الإلهية". وبحسب أوغريس هي "التأمل في الثالوث، أو المعرفة الجوهرية". ويسمىها أوغريس الصلاة. يقول: "إن كنت لا هوئياً، فأنت تصلي حقاً؛ وإن كنت تصلي حقاً، فأنت لا هوئي".

الحب الكامل للنفس العاقلة في نظره هو الذي به لا تحب شيئاً في العالم، بل تقال "معرفة الله".

يرى في قول السيد المسيح: "اطلبو ملکوت السماء وبره"، وهذه كلها تزاد لكم أن يقوله "ملکوت الله" يعني المعرفة والتأمل في الثالوث، هذه المعرفة هي عطاية إلهية تُعطى لنا بالصلاحة، وليس منا، أما بره فهو "قضائل الحياة العاملة".

^١ *Treatise on Prayer*, 60.

يرفض القديس أوغسطين كل أنواع الرؤى المنظورة، كما يرفض توقع أن نرى
شكلاً لله أو هيئة له على مثل الأمور الزمنية.

يقول: "الله غير مدرك في ذاته". وفي رسالته ٢٩ يقول: [اذكر الإيمان الحق،
واعرف أن الثالوث القدس لا يجعل نفسه معروفاً، لا في نظر الكائنات الجسدية، ولا في
تأمل الكائنات الروحية، ما لم يتنازل هو بالنعمة ليقدم معرفة للنفس... فإن الخالق جاءت
إلى الوجود من العدم، بينما معرفة الثالوث القدس جوهرية وغير مدركة].

يتنازل النعمة لتعرف النفس على الله، هذا بلا شك شاعر إلهي يشرق على النفس
أثناء الصلاة.

رؤيه الله

عند القديس يوحنا كاسيان

مناظرات القديس يوحنا كاسيان

❖ لا يمكن للعقل الذي تعوقه اهتمامات متعددة كهذه، وتعرقه اضطرابات متعددة كهذه، أن يتمتع على الدوام بالرؤيه المقدسه.^١

الأب سرابيون

❖ هذا هو "جسد الموت" الذي لا نستطيع أن نهرب منه، الذي أسر فيه الكاملون الذين ذاقوا "ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨)، يشعرون يومياً مع النبي "كيف هو شر ومر للإنسان أن ينفصل عن الرب إلهه". هذا هو جسد الموت الذي يحجزنا عن الرؤيه السماوية، يخذلنا إلى الخلف للأشياء الأرضية، الذي يسبب للناس أشواء ترثيلهم بالهزائم وركوعهم للصلة أن تمتلى أفكارهم بالمناظر البشرية، أو يتذكرون محاديث أو أعمال ضرورية تافهة.

هذا هو جسد الموت الذي ينظر إليه أولئك الذين ييارون قداسة الملائكة، ويشتاقون إلى الاتصال بالله على الدوام، ومع ذلك يعجزون عن الوصول إلى كمال هذا الصلاح، لأن "جسد الموت" يقف في طريقهم، فيجعلون الشر الذي لا يريدونه، أي ينجذبون إلى أسفل بأذهانهم حتى إلى الأشياء التي ليست لها صلة بتقدمهم وكمالهم في الفضيلة.^٢.

الأب ثيوناس

❖ كل عقل يرتفع ويتشكل في الصلاة حسب نقاوته. فإن كان مهتماً بالأمور المادية الأرضية يحمل هذه النظرة أمامه، وتبقى هذه النظرة قدام عيني نفسه الداخليتين في

^١ مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير أيام البرية، ٥: ٢٣.

^٢ نص الكتاب المقدس "إن تركك الرب إلهك شرّ وحز" لبر ١٩:٢.

^٣ مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير أيام البرية، ١٦: ٢٢.

رؤيته للرب يسوع، سواء عندما جاء في قواطعه في الجسد، أو عند مجئه في عظمته. أمثال هؤلاء لا يقدرون أن يروا الرب يسوع آتياً في ملكته، إذ هم مُمسكون بنوع من الضعف اليهودي (أي النزرة المادية)، ولا يستطيعون القول مع الرسول: "وَإِن كُنَا فَدْعُوكُمْ أَعْرَفُنَا مسيح حَسْبَ جَسَدٍ، لَكُنْ إِنَّا لَا نَعْرَفُ بَعْدَ" (كور ٢: ١٦).

أما الذين يرتفعون فوق الأعمال والأفكار الأرضية السفلية، ويصعدون على جبل الوحدة (العزلة) المرتفع، متحررين من الاضطراب بكل المتعاب والأفكار الأرضية، في أمان من تدخل الخطايا، ممجدين باليمان قوي، هؤلاء يمكنهم أن يتطلعوا بعيون نفحة إلى لاهوته، وفي أعلى الفضيلة يكتشفون مجده وصورة سموه...
يُعلن يسوع للموجودين في المدن والقرى والزارع، أي الذين لهم أعمال يقومون بها، لكن ليس بالبهاء الذي يظهر به لمن يصعدون معه على جبل الفضائل السابق ذكره... في الوحدة (العزلة) ظهر الله لموسى وتحدث مع إيليا.

الأب إسحق

¹ St. John Cassian: 10:6.

رؤيه الله

عند الشيخ الروحاني (يوحنا الديلياتي)^١

يا لعظمته رؤية الله!

﴿ من رأه، ثم احتمل ألا يراه؟ من سمع صوته، واحتمل أن يعيش بدون سماع صوته؟

من استشق رائحته، ولم يجيء حالاً ليتنعم به؟^٢ ﴾

﴿ طوبى لمن يدخل إلى نفسه، ويراك رؤية عجيبة، وينهل بجمال أسرارك التي تتبع
من داخله! ^٣ ﴾

﴿ طوبى لمن يحمل الدهش الذي تثيره في قلبك كل حين، لأنك يراك في كل آن في ذاته.
طوبى لمن، من هنا، افتراك كنزًا داخل ذاته، إذ يكتسب متعة الأبد.
طوبى للذى، فى داخله، يشخص نظره إلى أشعتك، إذ بجمالك يضيء أقوامه
في كل وقت.

طوبى لمن في قلبك يتكلم روحك، ويستجيب إلى كل طلبات نفسه.^٤

﴿ ليس عمل يقدر أن يهدم مواكب الشياطين الأنجاس مثل النظر في الله.
قال لي أحد الإخوة: إبني في وقت ما كنت جالساً وسبي عقلى بالنظر الإلهي،
ولما انتهت تنهدت بقوة. وإذا سمع الشيطان الذي كان قائماً هناك اضطرب، وكأنه برق
طعن، وبشدة أعطى صوتاً واندفع خارجاً. ^٥ ﴾

^١ للمزيد من أقوال هذا القديس عن رؤية الله راجع:
“مجموعة الرسائل الروحية”， نقلاً عن السريانية الأب سليم دكاش اليسوعي، والتي نشرت في سلسلة التراث الروحي بدار المشرق - بيروت.

^٢ المخطوط الذي نسخه القس موسى السرياني (المتبني الأبا اندراؤس)، قام بنسخه من ٦/٧/٥٩ حتى ٦/٤/٦٣.

المخطوط الذي نسخه القس موسى السرياني (الراهب القمح ثادرس السرياني).

^٣ القمح بفوتوس السرياني، ص ٤٤.

^٤ رسالة ٥:٢ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٥ رسالة ٩:٤٧ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٦ مير علي التحذير والتحفظ... من المقاولين.

رؤيه الله عند الشیخ الروحاني

يحدثنا الشیخ الروحاني عن ما يدعوه الآباء بالزيارة الإلهية، حيث يفقد الله النفس بنعمته الفائقة ويهبها برکات فائقة، خاصة التعرف على أسراره الإلهية والتمتع بروايته. جاء في مدامره^١ عن هذه الزيارات الإلهية للمؤمنين، خاصة للمتوحدين. وقد قسمها إلى ثلاثة أنواع.

١. زيارات الروح للمبتدئين: يهبها الروح للمتواضعين، الذين يسكنون الدموع على خطاياهم، ويمارسون التسبيح والقراءات الروحية مع المطانيات، مع جهاد في خدمة إخوته بتواضع، وتتفيد الوصايا الإلهية بفرج.

٢. زيارات لأصحاب المنزلة الوسطى (النفسانيين)^٢: يتحدث هنا عن زيارات الروح لمن تمنع دموع المحبة لله، ونال عقله هدوءاً، يعيش في هذى صامت، ويشعر كأن كل كيانه، جسده ونفسه، قد التهاب. صار كله أشبه بقلب ملتهب حباً لله ولكل أحد.

٣. زيارات للكاملين (الروحانيين): يتحدث هنا عن الذين يرتفعون بروح الرب كما إلى أورشليم العليا، وتصير السماء مسكنهم وهم بعد على الأرض، فيقول:

❖ من الآن ه هنا مدخل بيت الكنز، مدينة المناظر الفاخرة، موضع الفرح والبهجة...
كورة الحياة والنعيم، مدينة السلام الذي بنظر جمال الملك يضيء سكانه.^٣

❖ من الآن يفرح قلب الذين طلبوه بالضيق، وعطشوا إلى نزرة، وأراهم وجهه.^٤
❖ ادخلوا الآن واستريحوا يا من كنت متعيناً ومعذبيناً. لجلسوا مع ربكم في المجال،
يا من كنتم تكونون عند الباب. الآن انقطعت دموع الألم، وأزيلت الصعوبات وال الحرب،
وبطل العمل والجهاد، لأنه جاء زمان الراحة.

ارتفع الخوف لأجل المحبة المتقنة، وسكنت حركات العقل بعجب المناظر العجيبة.
إنه مدينة يستنشق سكانه الروح، ويسكن عقلهم عن الحركات، ويتكلم فيه
الروح بخفاياه.

^١ عن مخطوط نسخه أقدس موسى السرياني (المتنبي الألبان لدر لوين)، قام بنسخه من ٦/٥٩/٧ حتى ٦/٤/٦٢.

^٢ يصر على زيارات الروح التي تُعطي للمتوحدين.

^٣ يصر على زيارات الروح التي تُعطي للمتوحدين.

^٤ يصر على زيارات الروح التي تُعطي للمتوحدين.

هي مدينة سهلة وجميلة ومنيرة، ليس لها مثيل. لهذا يدعى العقل التشيط بالروح
ليدخل، إذ تعبت حركات قواته الشاذة لكي تنظر ذاك الذي في الكل وفيه الكل.
وإذ اقترب إلى الصلاة ينظر إشراق أقومه، ويضيء على النفس جمال طبيعتها...
وينظر النور الإلهي المشرق فيها، وتحولها إلى شبهه. وينزع شبهه طبعها من قدام
نظرها، وتتطلع إلى ذاتها، فتجد أنها تشبه الله، وذلك باتحادها بالنور الذي لا شبه له،
نور الثالوث المشرق فيها؛ وتنفس في أمواج حسنه، وتدخل في دهش لساعة عظيمة.
ويحل الوقت الذي فيه تنطلق من منظر إلى منظر، وتترنم بالانتقالات عجيبة
لا تُحصى في ساعة واحدة...

ويكون متى نظر الإنسان في كل موضع، يرى ضياء عقله يشرق قدامه كشبه
النار، ولا تقدر الشياطين أن تضليله...

هذا هو زمن الصلاة والزيارة (الإلهية)، وبهذا النور تتطلع النفس إلى كل نفس...
هذه هي التلاديريا، بها تنظر الملائكة في مدينتهم، وطبعهم، وروحانيتهم، وذلك كما
تنظر عيناً الجسد الطبائع المحسوسة بطبعتها بواسطة النور المادي، كما تعانين أيضاً
الشياطين والأفعال التي تقطعها.

فإذا ثبت فعل الروح في الإنسان، وأظهر ذاته للعقل، ينطق عنده بأسرار عجيبة
بلا انقطاع ما عدا في وقت التططلع إلى الأسرار والعجب بها...
من خمام هذا النور الذي لا يُؤْنَى منه، الذي يُكَالُ إن الله ساكن فيه، تشرق منه
إشاعات النور على العقل الذي تأهل بالرحمة...

طوبى لمن استحق الدخول إلى ه هنا، ولهذه النظرة، حيث ترى النفس وجه ربها،
ونذوق حلاوة إلهها، وتبتهج و تستنشق راحته الظاهرة، وتحبس
في عمق عظمته، وتضيء بشعاع جماله، وتدخل وتلت chùق بجلبه القدس الذي هو سبک
نور أقومه، ولا تعرف الخروج من هناك... إذ قد سُبِّيت وأبتلى من النزرة الفاخرة،
وليس فيها قوة لتعود، ولا تفطن لهذا.

من عجبها ولذتها تُخطف قوتها الناظرة بدهش إلى النظر، وترسخ حركاتها، فتشبه
جبلًا لا يضطرب. تنظر كأنها محبوسة في جبل نور، تقطيها لحج أمواج النور من كل
جهة، ولا يظهر لها شخصها.

هذا هو الاختلاف الذي ينعته آباءنا بأنه "التططلع إلى مجد الله".

هذا هو عربون العالم الجديد...

بالقوة التي يقتلونها هنا يفرزون أعمال الشياطين وخطايا البشر والأوجاع والآفكار التي منهم، والحروب التي تواجههم، ويشعرون أيضاً بزيارات الروح التي للأقياء.

من رائحة ثيابهم، يفرزون الطاهر من النجس... بواسطة التور الإلهي القدس...

قال لي إنسان: "إني إذا جلست في وقتِ ما، وكان عقلي مسيباً بدھشة، ينظر الله، وترسخ الحركات باللذة، يكون أنه إذا ما خطط على جسدي نوم، الأمر الذي امتنع عن عمله، أن يهزمي الملك الذي معى لاستيقظ، ولا يضطرب العقل أبداً، ويتحرك من موضعه ويعدد..."

وقال لي أخ: "إذا ما أنتصت في داخلي، أسمع الروح يتكلم في أسرار مخفية وأدهش. هذه الأسرار لا يقدر لسان أن ينطق بها، ولا أن يفسر العذوبة المختاطة بها".

* ارفع كل شيء من أمامك، لكي يظهر وحده بصرك ذاك الذي يختفي في داخل كل شيء.

طوبى لمن ارتفعت الأرض والدنه من أمام بصره!...

إلى أين رحلت كل الأشياء من أمامي؟ فإن رب كل الأشياء وحده منظور لي! أين أنا؟ لا أعرف.

فجمال ذاك الجمال (الله) سببي قلبي^١.

* لنُظهر ضعفنا أمامه، فيكون هو قوّة في أعضائنا. لكن متعطشين كل حين لرؤيته، وهو يُظهر لنا جمال وجهه^٢.

* ادخل، وصلِ في مخدعك وأنت محتجب عن رؤية الرائين، هناك ترى أياك الخفي، مكافأة لصلاتك.

من يرى صلاتك تأخذ أجرتك منه. ومن تكشف أمامه أعمالك، فمنه أيضاً تطلب

العطايا (مت ٦: ٦-٥)^٣.

^١ مير على زيارات الروح التي تُعطي للمتودين.

^٢ رسالة ٣:٢، ٤ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٣ رسالة ٣:١١ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٤ رسالة ١٤:٥١ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

❖ لقد دخلوا مدينة العجب، واقتتوا السلطان في عالم الرؤى؛ وجعلهم الروح يتحدون بجمال العجب، ولن يتبعوا من بعد في الصلاة.

لن يقفوا بعد عند الباب باكين، ولن يصرخوا قط من بعد: "أرنا جمالك".
لن يستجدوا كمتسولين: "وزع علينا ثروتك".

إنهم يعطون لأنهم أخذوا، ويوزعون لأنهم اغتروا، ويريحون لأنهم استراحتوا في ميناء الحياة.

إنهم يفرجون ويفرحون (الآخرين) مثل داود النبي مفروض تكون بعد الكلمة التي قبلها، لأنهم سكروا من محبة الجمال، "أنهار مياه حية تجري حقاً من بطن من آمن بي" (يو 7: 38). ولم تجر يا ربنا؟ علمي! إنها تحيي الآخرين، وتزوي العطاش.^١

❖ لن يتراهى لك خارج نفسك، ولن يتراهى فيها دون الطهارة المقدسة...
عذب نفسك بهذا الاشتياق، ومت عن الحياة، فترى القيامة فيك.^٢

❖ في الذهن الذي يحفظ الطهارة يسكن ويظهر الله الذي لا تحده السماء والأرض.
ينظر الكاروبين والساروفين بورع إلى مجد ربوبيته، بينما ترى النفس الطاهرة مجده في داخلها بغير حجاب.

عندما يطهر الذهن من ظلمة الضلال، يصير سماءً لملائكة النور. وحيث يكتشف مجد ربهم بحبٍ، هناك أيضاً يعلون تقديرهم.

حق قال لي أخ أمامي:

"في الوقت الذي أهتم بنفسي بمعونة الله الذي يقويني، أرى تجلّيه في قلبي بمجد لا يُنطق به، وحينئذ تشرق على الملائكة القدسون بالسر الذي لا يُفسر، ويظهرون محبتهم نحوه، هذه التي لا يعبر عنها".

طوبى للأتقياء بقولهم، فإنهم يرون الله بقولهم (مت 5: 8).

ففي المدينة التي تتنقى، يُرى فيها مجد الطاهر.

هذا هو المأكوت الذي قال عنه: "إنه مخفى في داخلكم" (لو 17: 21).^٣

^١ رسالة ٦:١٢ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٢ رسالة ٨:١٥ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٣ رسالة ٦:١٩ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

❖ إن طلبنا الله حقاً، تجلّى لنا.

انتبه لهذا، فإنه إذا يتجلّى، فهذا يعني أنه في الداخل ومخفي.
ارفع الحجاب لكي يرى.

إنه يبحث عن المدينة التي يستطيع فيها أن يُظهر جماله.
إنه مشتاق جداً لأن يرى^١.

❖ آه! كم هي مذلة خفاياك يا إلهنا! ومن يومن بهذا؟

من ذكرها ظار قلبي؛ وبخلوتها تعطمت أوصال جسدي.
نسرت ما هو لي بهذه تلك الأشياء التي لم أصادرها، وألح بالشوق على المُعطي.
نسرت ما له، وأجهدت نفسي لأخذة هو.

أنمسك به، فلا يمسك.

أقبض عليه، فلا يقبض.

عندما أكون ملآن، أكون فارغاً.

وعندما أمسك به، ليس هو.

وعندما أسكن فيه، يسكن فيّ.

❖ عندما يختفي عنِّي، أكون مخفياً فيه.

وعندما أريد أن أراه، أراه قائمًا في الداخل.

فمن أين يأتي. لا أعرف.

إن قدره إلى موضع ما قلّمني...

عندما يمضي معي إلى موضع، لا يتحرك إلى آخر.

وعندما أقبض عليه، يُطيب.

وما أن أخلي سبيله حتى يختفي.

وما أن أنصت إليه حتى يتكلّم معي.

وعندما أمسكه لا يتحرك.

وعندما أُسیر فيه يقوم فيّ وهو منبسط بقدر ما هو خارج عنِّي.

^١ رسالة ٣:٢٦ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٢ رسالة ٣:٢٨ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

وَعِنْدَمَا أَسْتَشْفَهُ مِنَ الدَّاخِلِ، يَطْلُعُ.
 وَعِنْدَمَا أَرَاهُ بِدَاخِلِ الْكُلِّ، يَلْبِسُ وَيَخْفِي الْكُلِّ.
 وَعِنْدَمَا أَرَاهُ حَامِلًا لِلْكُلِّ، أَحْمَلَهُ أَنَا وَأَمْضَى...
 الْمَجْدُ لَكِ أَيُّهَا الْمُحْتَجِبُ عَنِ الْكُلِّ، وَالْمَشْرُقُ لِمُحِبِّيكَ بِلَا انْقِطَاعٍ... أَيُّهَا النُّورُ
 الَّذِي لَعْظَمَ إِشْرَاقَهُ، تَمَاثِلَهُ الظُّلْمَةُ (الَّتِي نَظَرَهُ بِسَبَبِ عَجْزِنَا عَنْ رَؤْيَتِهِ)^١.
 ❖ أَيُّهَا الظُّلْمَةُ الْمُنِيرَةُ الَّتِي تَجْعَلُ وَجْهَ مُحِبِّيهَا بَهِيًّا...
 أَيُّهَا النُّورُ الْمُظْلَمُ الَّذِي يَنِيرُ حَدْقَةَ عَيْنِيَ بِرَؤْيَتِهِ، لَكِ أَرَى خَلَلَ الظُّلْمَةِ مَا يَفْعَلُ
 فِي الْمَخَادِعِ الدَّاخِلِيَّةِ. مِنْ نَطْقِ لِسَانِ رُوحِكَ فِي نَفْسِهِ بِأَسْرَارِكَ الْمُقْدَسَةِ لِيَفْهُمَ هَذِهِ
 الْأُمُورُ الْمُبَهَّمَةُ!
 لَيَتَهُجَّ مِنْ رَأْيِ إِشْرَاقِكَ الْجَمِيلِ فِي دَاخِلِ قَلْبِهِ، وَأَدْهَشَتَهُ رُؤْيَا الصُّورِ الَّتِي تَرْمِزُ
 إِلَى عَظَمَةِ تَجْلِيَّاتِهِ^٢.
 ❖ أَعْرَفُ ضَعْفِي وَأَهْدَأُ.
 يَلْبِقُ بِي أَنْ أَصْمَتُ الْآنَ، لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ يُسْتَطِعُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ رَؤْيَتِكَ، يَا نَاظِرَ الْكُلِّ!
 لَكَ الْمَجْدُ مِنَ الْكُلِّ، يَا مَكْلُلَ مُحِبِّيهِ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِينِ. آمِينُ^٣.
 ❖ خَرَجَ فَكِرْهُمْ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يَبْلِلُ الْحَكَماءَ، وَخَلَوْا إِلَى مَدِينَةِ غَمَامَةِ النُّورِ الْسُّوفِيرِ،
 إِشْرَاقِ الَّذِي يَهْبِطُ النُّورُ الإِلَهِيِّ (خَر٢٠:٢٤، ٢١:٢٠) عَنِ الرُّؤْيَا، وَعَنِ
 كُلِّ الرَّانِينِ.
 هُنَّا عَلَى بَابِ الْأَسْرَارِ يَقْوِمُونَ مَعَ الْقَوَافِعِ الْعَلْوَيَّةِ، لَأَنَّهُمْ يَقْتَاتُونَ بِحَلْوَةِ اللَّهِ.
 آهُ لِلْمَوْتِي بِالْمَسِيحِ (تَس٤:١٤؛ رُو١٣:١٩) الَّذِينَ عَاشُوا يَنْذُونَ الْحَيَاةَ
 الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْمَوْتَ^٤.
 ❖ مِنْ كَانَ ذَهْنَهُ مَظْلُمًا بِسَبَبِ نَقْصَانِ نُورِكَ فِيهِ، فَلَيُؤْلِفَ مَرْثَةً عَلَى شَقاوَتِهِ، وَأَنَا نَفْسِي
 أَحْمَلُ مَعَهُ الْأَسْمَى.

^١ رسالَةٌ ٤:٣٨، ٦ (رَاجِعُ الْأَبِ سَلِيمِ دَكَائِشَ الْيَسُوعِيِّ).

^٢ رسالَةٌ ٣:٤٦ (رَاجِعُ الْأَبِ سَلِيمِ دَكَائِشَ الْيَسُوعِيِّ).

^٣ رسالَةٌ ٤:٤٦ (رَاجِعُ الْأَبِ سَلِيمِ دَكَائِشَ الْيَسُوعِيِّ).

^٤ رسالَةٌ ٦:٤٧ (رَاجِعُ الْأَبِ سَلِيمِ دَكَائِشَ الْيَسُوعِيِّ).

أيها الحكيم أخوض عينيك عن العالم قبل أن تغرب شمس عملك، فالملاك تجذب
الذين يطمعون إلى ميراث الحياة.

ومتنى أنهى هؤلاء سعيهم، واقترب موعد رحيلهم من هنا، تذهب الملائكة
بنفسهم، وتخلطها بصفوفها. وهكذا يتعمدون بمجدهم إلى أن يأتي يوم قيامة
 أجسادهم، تلك القيامة التي بها يكون في الله نعيمهم.

أما أولئك الذين عملوا حسب إرادة الشياطين النجسة، فهو لام تذهب الشياطين
بنفسهم في زمن خروجهم، إلى مدينة ميراثهم المرعب والمفزع^١.

معرفة الله

♦ إن امتناع السماء والأرض وكل ما فيها من الله، إن غير كل شيء، وإن كانت
طبيعته منبسطة في كل الطبائع كالسحب في الهواء، فالكثيرون يعرفون هذا من
السمع.

قليلون يعرفونه من المطالعات.

بعضهم فقط من رؤية الطهارة، هذه التي تتطيب بالطوبى، لا بالكلمات التافهة^٢.

رؤيه الله ومعرفته في القلب

♦ من يتقرس في ذاته كل ساعة، يتبعق قلبه بالإستعلامات،
ومن نظر ذهنه داخله، يبصر ضياء الآب.

من يهون عنده الفرح، ينظر ربه داخل قلبه...

هذا السماء داخلك، إن كنت ظاهراً، والملائكة فيها ينظرون وهم مشرقين...
مدينة التقى النفس داخله، والشمس التي تشرق فيه هي نور الثالوث القدس،
وهواء نسيم سكانها هو الروح القدس المعزى، والسكان معه الطبائع الأطهار
الروحانية، وحياتهم ومدينتهم وفرحهم وبهجتهم هو المسيح.

ضياء الآب تنظره نفسه كل ساعة وتبتعد، وبجماله يتعجب، الذي هو أبهى من
قرص الشمس مائة ضعف.

هذه هي أورشليم، ملکوت الله المخفى داخلنا...

^١ رسالة ٤٧:١٠ (راجع الآب سليم دكتش اليسوعي).

^٢ رسالة ٥٠:٣ (راجع الآب سليم دكتش اليسوعي).

- هذه هي مدينة غمام مجد الله، التي يدخلها أنقياء القلب فقط، لينظروا وجه ربهم،
ويستضيء ضميرهم بشعاع نوره^١
- ❖ أن ينظر الإنسان إلى الله الالهاني... هذا تذكر مستقيم حقاً. إنه ينزع الأهواء، ويطرد
الشياطين، وينير العقل، ويظهر القلب.
- أما إن طلب الإنسان حياة الله في داخله، فهذا أفضل مما سبق.
- إن كانت العالم كلها مملوقة بالحياة وهو خالي منها، فما هي المنفعة التي تأتيه
من الخارج؟
- وإذا كان مملوءاً بالحياة، لماذا يضره الموت الذي هو خارج عنده؟^٢
- ❖ انظر إلى الله في ذاتك، وأنظر كيف أن الله هو نور!
طبيعته هي نور مجد، نور أشعة وفيرة. وهو يظهر نور طبيعته إلى كل من
يحبونه في كل العالم، أغنى مجد لا طبيعته؛ وهو يحول صورة الذين يروننه إلى
صورة مجده.
- انظر إلى نفسك، وأبصره فيها، في ذاتك، متحداً بك كاتحد النار بالحديد في داخل
الكور، وكالرطوبة في جسمك.
- عندما تنظر إليه وهو متهد بك هكذا، يسبى ذاتك من أمام ذهنك لكي يتراهى
وحده لذنهك^٣.
- ❖ إن سألك عن رؤية الأقانيم الممجدة، لا تستطيع خليفة أن تتكلم عنها. بالرغم من أن
الأقنياء يرون كل واحد منها، وفق نقاوتها الصافية. ورغم أن القوة الرائية هي فيهم
بحسب قوتهم، فهي قوة في طبيعتهم للتعرف بالكلمة، مع هذا تضع علامات ضعيفة
لإشارة المظلومين أمثالنا^٤.
- ❖ الذين يريدون بوقاحة سبر جوهر طبيعته التي لا بداية لها، يقتلون الهلاك لهم من
سبرهم. ويتألقون من تجارتهم الويل والمرارة والتنهدات!...

^١ مير ١ (راجع الفصل تادرس السرياني).

^٢ رسالة ٤:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٣ رسالة ٥:٥، ٦ (راجع الأب ملجم دكاش اليسوعي).

^٤ رسالة ٧:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

لا تفصل نفسك عن الحياة!
لا تسقط في البحر لثلا تهلك.

بل نظم مسبرك، وأعدله، واقتن منه الحياة إلى الأبد...
إن كنت لا تستطيع أن تعرف نفسك، كيف تستطيع أن تسير جوهر طبيعة خالقك؟!
أيها الفاحص المنافق، إنحن من كبرياتك، لثلا تسقط في الغر الذي ليس له سند لنزولك!^١

﴿احمل ذكراه في قلبك!...﴾

انظر إليه بالدهش الذي تحدثه عظمته، فلا تموت (لو ١٧: ٢١).
انظر إليه في نفسك، وأبصره في داخلك.
 الشخص إلى قلبك، ومنه يشرق على نفسك. (الفحص أو انظر)
إذ تنظر هناك دائمًا تجد الملائكة فيه.
هذا يعني أنك تجد الله في داخلك، الذي هو ملائكته، ذلك إن شخصت وإن كان قلبك نقىًا من أية شائبة^٢.

﴿ليس من أحدٍ يشخص إلى ذاته دائمًا إلا ويقتني النقاوة التي ترى الله في زمان قصير.
من ينظر إلى الله في داخله، ينطفئ نفسه من القذارة، ولكن يستطيع الشيطان
أن يزرع الأهواء في قلبه. وإن زرعها تنتف سريعاً. فإن ذُكر الله وذكر الأهواء
لا يمكنهما أن يقطعا في مسكن واحدٍ﴾.

﴿الذهن الذي في طياته يطلب الله، يصبح بنفسه مرآة يرى الله فيها.
المجد لذلك الذي يظهر مجده بالذهن الملتئب برؤيته، لكي يراه ليهجهه. لا يأتي
من مكانٍ ما ليتراءى له، بل يختفي فيه ويختبئ. وما أن يجده مجاهداً ومتعباً في
طليمه، وهو دوماً في فكره، ومتعطشاً إلى رؤيته، حتى يشرق به جماله الممجد الذي
كان مختلفاً فيه، ويعزيه. هذا هو الذي يجد الملائكة، وقد كان مختلفاً في داخله.

^١ رسالة ١٦:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

^٢ رسالة ١٧:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

^٣ رسالة ١٨:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

هذا هو الكنز المخفي في الحقل، والذي يجده فوراً من يترك كل ما يمتلكه
(مت ١٣: ٤٤).^١

❖ طوبى لمن يشخص إليك على الدوام، يا فردوسى الذي تتراءى في أيا شجرة الحياة التي تلهبني في قلبي شوقاً إليه، وتغير وجهي بقوة محبتك، وتقيم بالدهش الذي تثيره أشعه جمالها

طوبى لمن يطلب دوماً في ذاته، إذ منه تجري الحياة لعطيته (يو ٧: ٣٨)
طوبى لمن يحمل ذكرك في قلبه في كل آن، إذ أن نفسه هي أيضاً سكري بحلوتك!

طوبى لمن هو شاخص إليك على الدوام في داخله، إذ يستثير قلبه لرؤيه الخفيات!

طوبى لمن يطلبك في ذاته، إذ أن قلبه ملتهب أيضاً بنارك، وجسده متقد مع عظامه بقوته العظورة!^٢

❖ تعزى بروؤيتك في كل حين.
عندما يأكل يراك في مائلاه، وعندما يشرب تشغ في شرابه!
عندما يبكي تشرق في دموعه.
أينما نظر يراك، ففي كل موضع تزيده من تعزيتك.^٣

❖ لا يمكن أن تتحقق الرؤية في ذلك النور الذي تشكل أشعه الساطعة مائعاً.
يقولون إنك غمام وضباب، وإن خماماً منيراً يحيط بك (مز ٢: ٧٩)، وإنك تمنع نظر محبيك عن التطلع بأفراط لرؤيه طبيعتك المخفية.^٤

❖ إنك، أيها الصالح في كل محبيك، لأنهم يجدونك في الدهش الذي لا يوصف، في مجد بهاء جمالك، وفي قوة طبيعتك، وفي معرفتك التي هي أعلى من الكل.
أنت موجود بكلك في كل محبيك، بكل ما لك، وفي كل واحد منهم.

^١ رسالة ١٩:٥٠ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

^٢ رسالة ٢:٥١ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

^٣ رسالة ٥:٥١ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

^٤ رسالة ٨:٥١ (راجع الأب سليم دكاش البصوعي).

أنت بكلتيك له بالكمال بغير نقصان، مع أنه لا يقدر أحد أن يمتلكك كلياً.
المجد لكمالك الذي يضبط كل الكمالات، ولا يستطيع أحد منها أن يحدك^١.

❖ المجد لذاك الذي وهب من حكمته لخاصته، مظهراً جماله لأجل تلك محبيه^٢.

❖ تأمل في ذاتك قليلاً ليشرق فيك الشعاع المفرح، لاسيما حين تقع على وجهك، فإنه لا يوجد وقت مثل هذا فيه ترى ذاك الذي يرى الكل. فإنه يظهر لمحببيه، ويتوفر لهم الصالحات^٣.

❖ اكتشف ما لك للخفي، فيكشف هو ما له^٤.

❖ طوبى لمن يرى تلك المدينة من ه هنا، ومنها ينطلق إلى مدينة الأفراح، إلى المدينة التي لا تغرب شمسها^٥.

❖ طوبى لمن ينصت ويسمع أسرار الروح الخفي، ويكتمها في نفسه^٦.

❖ يا إلهي وحياتي! لقد سُبِّيَ فكري بالحديث معك، فإنه ليس لي من أتحدث معه خارجاً عنك!
ماذا أفعل؟ نفسي عطشى إليك، ولحمي يتغريك (مز ٦٣: ٢).

بالحديث معك يمكن الصعود إليك، وبالتفكير فيك تُوَهَّب رؤية وجهك^٧.

❖ إن كنت تحزن في طلبه، فستتبهج بوجوده!
إن كنت تتالم لكي تنظره بالدموع والضيق، فإنه يُظْهِر لك حُسْنَه (جماله) داخلك، فتنسى أحزانك!

لا تطلبه خارجاً عنك، ذاك الذي مسكنه ومقره في داخلك!
من رأى حكيمًا يطلب نعيمه خارجاً عنه؟!

^١رسالة ١٠:٥١ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٢رسالة ١:٢٧ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٣رسالة ٣:٣١ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٤رسالة ١١:٣٩ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٥رسالة ٤:٤٠ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٦رسالة ٢:٤٥ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

^٧رسالة ٦:٥١ (راجع الأب سليم دكاش اليسوعي).

كيف تليق لك الحياة خارجاً عنك؟!
 لمن أنت تخدم؟ لمن أنت تصلي؟ قدام من أنت تصرخ؟
 لمن تدعوه قائلًا: "أبنا أسرع لمعونتي؟"
 قدام من أنت تسكب دموعك؟ أليس قدام ذاك الذي به تحيا وتحرك؟!
 ولكن لماذا لا تشعر بنعمتك في داخل نفسك؟ أليس لأنك لم تخلط أعمالك به؟
 إذا جلست، انظر شعاعه متحداً بك...
 وإذا قمت، في quam مجده نظير...
 وإذا مشيت، ارفع الأرض عن نظرك، واجعل مسكنك في نور الرب
 كموضع نقى...
 وإذا نمت، فبلجج نوره تغطى...
 وفي شربك امزح شرابك بمنظر محب الكل...
 طرز مع الطير في جو طهارته،
 ومع السمك أصبح في عمق عظمته،
 من الحديد في الكور تعلم سر اتحاده بالنار،
 ومع نسيم قمك تستنشق نفسك خليها،
 مع الروحانيين قدس في السماء داخلك، وهناك انظر مسكنه.
 ♦ آه ما أعجب خيالك يا إلهنا، وما أعظم من يؤمن بها.
 نسيت ذاتي بهذذ أولئك القديسين، الذين لست أنا واحداً منهم.
 أجاهد أن أمسك الله القدس، فلا يمسك.
 أصوّره، فلا يتصور.
 إذ أنا ممنوع، فعینتني أنا فارغ،
 وإذا أنا ماسكه ليس هو،
 وإذا أنا ساكن فيه، وهو في يسكن.
 وإذا هو مخفى عنى، أنا مخفى فيه.
 وإذا أردت أن أطبه، أبصره داخلي.
 ومن أي موضع... وإلى أي موضع أذهب به، لا يتركني.
 وإذا ألصت إليه يتكلم معي. وإذا التمسه لا يتحرك...

السبّحُ لَكَ، إِنَّكَ مُخْفِيٌّ عَنِ الْكُلِّ، وَلِمُحِبِّيكَ تَشْرُقُ بِلَا انْقِطَاعٍ!
السّبّحُ لَكَ، وَعَلَيْنَا رَحْمَتُكَ إِلَى الأَبَدِ آمِينَ.

❖ ربِّي وَإِلَهِي... لَمْ تَقْدِرْ يَعْنِي أَنْ تَرْسِمَ أَسْرَارَكَ بِالصُّورِ، وَلَكِنْ مُثْلِ حَكِيمٍ أَتَقْدَمُ
لِأَكْتَبْ... .

أَتَقْدَمُ الْآنَ إِلَيْكَ وَأَنْتَنِعُ!
نَصْدُدُ إِلَى جَبَلِكَ الْمَقْدِسِ لِنَنْتَظِرْ حَسْنَكَ (جَمَالَكَ) الْمَمْجَدِ.
نُورُكَ مُسْبِكُكَ، كَثِيرُ الْإِشْرَاقِ، عَجِيبُ الْإِحْسَانِ، يَبْهِرُ نَاظِرِيهِ.
يَلْقَبُونَكَ "بَحْرًا" وَ"يَنْبُوْعَ كُلِّ الْعَالَمِ". عَظِيمُكَ تَحْبِسُ كُلَّ عَمْقٍ عَمِيقٍ.
يَشْبِهُونَكَ بِالنَّارِ، لَأَنَّهَا تَعْطِي دُونَ أَنْ تَنْفَعَ، تَطْهَرَ وَلَا تَنْسُخَ.

❖ قَالَ لِي إِنْسَانٌ: إِنَّهُ بِينَمَا يَكُونُ فِي بَدْءِ الْصَّلَاةِ أَوْ عَنْدَ نِهَايَتِهَا، يَنْسَى ذَاتَهُ، وَكُلَّ مَا لَهُ،
وَيَتَعَجَّبُ وَيَتَلَذَّذُ بِجَمَالِ خَالِقِهِ.
مَنْ يَفْهَمُ فَلِيفَهُمْ، وَكُلُّ مَنْ لَا يَفْهَمُ، فَلِيُعْطِهِ الرَّبُّ أَنْ يَدْرِكَ.

❖ مَا أَشْهَاكَ، وَمَا أَذْهَبَ أَيْهَا الطَّفْلَ (يَسْوَعُ).
شَهْوَتُكَ تَسْبِي التَّفَوُسَ.
خَرَجْتَ نَفْسِي وَرَاعِكَ، إِذْ فِيَكَ تَشْخُصُ دَاخِلَهَا، وَلَهَا يَشْرُقُ جَمَالُكَ.
أَنْتَ حَسَنٌ. أَنْتَ مَحْبُوبٌ مُثْلِ أَبِيكَ.
أَنْتَ حُلُوْ لَزِيدٍ، مَذَاقُكَ لَا يَعْرَفُهُ إِلَّا مَنْ ذَاقَ فَقْطَ.
اسْتَقْشَفْتَ رَائِحَتَكَ الطَّرِيْقَةَ،
وَقَلْبِي تَلَذَّذَ فِيَ،
وَلِيُسَ منْ يَقْدِرُ أَنْ يَفْسِرَ.

❖ طَوْبِي لِمَنْ فِي شَرِبَيْهِ يَرَكَ مَخْلُوطًا، يَشْرُبُ وَيَبْتَهِجُ قَلْبَهُ بِمُحِبَّتِكَ.
طَوْبِي لِمَنْ دَخَلَ إِلَيْكَ، وَنَظَرَ مُنْظَرَكَ الْجَيْبِ، وَتَعَجَّبَ بِجَمَالِكَ الْبَهِيِّ الَّذِي يَنْبَغِي دَاخِلَهِ.
احْتَدَ قَلْبِي عَلَى الْقَلْمَ، كَدَّ أَكْسَرَهُ، لَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُصَوِّرَ الْجَمَالَ الْعَجِيبَ الَّذِي أَنْظَرَهُ،
أَنْهَارَ مِيَاهَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ يَنْبُوْعِ الطَّوْبِيِّ...
كُلُّ عَقْلٍ كَثِيرِ الْكَلَامِ، إِنْ دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ، يَلْتَزِمُ السُّكُوتَ عَنِ الْكَلَامِ وَالْحَرْكَاتِ
لِلْأَنْدَهَاشَهِ بِالْأَسْرَارِ.

هنا يُظهر الله جماله لمحبيه.

هنا تبصر النفس ذاتها، والمسيح المشرق فيها، ويبهجها منظره.

هنا الثالثون القدس بالسُّرْ يَرِى.

* احترق القلم من حدة نارك يا يسوع. ووقف يميت عن الكتابة.

استضاءت عيناي بشعاع جمالك.

وذهبت من قدامي الأرض وكل ما عليها.

ذهب ذهني بالعجب الذي فيك.

اشتعل اللهب بعظمامي.

وانشقت البناية، لتسقي جميع لحمي لثلا يحرق.

* السُّبُّح لك، فكما أَنَّك عجيب، عجيبة هي أيضًا أسرارك.

طوبى لمحبتك الذين بجمالك يضيئون كل ساعة.

* قبل أن أخرج من هذا الجسد، أعطني يا رب جمال منظرك للأكل، ورؤيا أسرارك المخفية فيك يحضرن جوهرتك للشرب المفرح.

* طوبى لمن سكروا بمحبتك يا إلهي، لأن بسكرهم بك، استمتعوا بجمالك. ذق يا أخي، وانظر حلاوة أبيانا الصالح، ومقدار لذته.

* أما أولئك الذين لم يجربيوا لذة السكر بالله والتمتع به، فهم مساكين تعساء. لقد أعطى الله محبته طيباً يسكرهم به ويلذذهم.

هو بذاته يفرح، وبهم أيضًا يبتهاج.

هو هو عرسهم، وحجلة فرحةهم.

ينظرونها في داخلهم فيبتهاجون.

يشرق فيهم من هو في داخلهم، ويدهشهم بجماليه.

* المحبة نار تشتعل بالقلب، صاحبها قائم في خدمته بفرح.

إنني مررت كثيرة سمعت إنساناً من الإخوة، حين كان يسكر بمحبة المسيح، لم يكن يقدر أن يمسك نفسه من النار الإلهية المتقدة في قلبه.

ومن ابتهاج قلبه النابع عن إشراق سُبُّح الله...

كان يصرخ ويقول: "آه. ألهبتي محبتك يا إلهي.
اضمحلت حباتي بمحبتك يا ربنا، ولم أقدر أن أصبر".
وكان أيضاً يصرخ ويقول مرات كثيرة:
"طوبى للذين هم سكارى بمحبتك يا ربنا.
آه يا لحسنك الذي لا ينطق به، أيها الآب أبي!"

❖ سيد من قلبك بغير انقطاع، وانخط كل أعمالك بذكر الله. هذا هو العمل الذي يظهر لك وجه الله.

وهذا هو الأجر الذي يناله كل من يصلى الله خفيه.
ادخل إلى مدخلك، وصل خفيه حيث أبوك الخفي، أما أجراً المعلن فهو بإشرافه
في النفس^١.

المعرفة الإلهية

❖ الفردوس الآهل بكل الأفراح لتطيب النفوس التي تصنع كل شيء لكي تجد معرفته^٢.
❖ هب لي أن أبقى دائمًا مع (صفوف الملائكة) في مدينة الدهش والعجب في الامارة
التي تتجاوز كل معرفة، وكل أصحاب المعرفة^٣.

❖ ليس للسان سلطان أن ينطق بكلماتها (الأسرار الإلهية)، إنما ينظرها العقل الظاهر
وحده، وبها يتعم بفرح بنظرها، ويتعجب ويتنهج بوجودهم، ويذهل ويسر باستعمالها
له، ويذهل ويختطف منها إلى داخلهم.

وفي الله يُبلغ، ويسبي بنتظر جماله، ويتحد بمجده وينذهل.

ليس من دخل إلى هذا وينظر إلى ما يرى هنا بشهوة.

ليس من يتلذذ بهذه (الأسرار)، وينفق أيضًا حلوة شيء مما على الأرض.

ليس من ينظر جمالها، وينظر إلى جمال شيء مما في عالمنا أنه حسن.

ليس من استفدى بوجودها، ولا يستخف بالدرهم كالزيل.

^١ رسالة ٥١ (ملحق ١٣ راجع الآب سليم دكاشن اليسوعي).

^٢ رسالة ٥١ (ملحق ١٥ راجع الآب سليم دكاشن اليسوعي).

^٣ رسالة ٥١ - صلاة ٣ راجع الآب سليم دكاشن اليسوعي).

ليس من استئنس بوجودها، وسکر بالهذى بها، ولم يمقدت في عينيه أنس الناس.
ليس من انطلقت في نفسه وفي عظامه محبة المسيح، ويقدر أيضاً أن يتحمل
قدارة الشهوة المرذولة.

ليس من صار رفيقاً للملائكة، واستئنس بأسرارهم، ولم يرث رفقة العالم
ومكائدِه.

ليس من سُبَّي عقله بجمال رب الكل، ويقدر أيضاً أن يسببه شيءٌ مما في هذا
العالم بشهواته.

ليس من ربط عقله بالله والاهتمام به، وينحل أيضاً من شيءٍ ويرتبط فكرهم به^١.

❖ طوباك يا من هو في لجج النور طائر بأجنحة الروح القدس، وهو محبوس في العمق
الذي يحبس الكل، والذي أعمقه لا تدرك^٢.

❖ أعطنا يا رب أن ندخل بك إلى هيكل أنفسنا، وفيه ننظرك يا ذخيرة الحياة المختفية...
طوبى للذى يشخص إليك دائمًا في داخله، فإن قلبك يضيء لنظر خطيباه^٣.

كيف نقتني رؤية الله؟

أولاً: بالصلة

❖ إذا اقتربت من الصلاة تتظر إشراق أقومة، ويضيء على النفس جمال طبعها...
وتتظر النور الإلهي المشرق فيها وتغيرها لشبيهه^٤.

ثانياً: برشم علامة الصليب

❖ قال لي أخ صادق: حين أقبل الصليب، يشرق منه على وجهي كوكب نور بهي عجيب،
ويبيح قلبي حين أبسط يدي، وأرسمه في الهواء أو على جسمي.
أنظره ينفرس شبه نور لا ينطق به.

^١ مير على الصلاة وعلى قوات الطبائع الروحانية وعلى معرفة الله.

^٢ مير على الصلاة وعلى قوات الطبائع الروحانية وعلى معرفة الله.

^٣ القصص بفتوبيوس السرياني، ص ٤٨، ٥٢.

^٤ مير ٢ (راجع القصص تادرس السرياني).

ومع هذه الرؤيا العجيبة، يتحرك في قلبي سرور وفرح،
ولا توجد في قوة أطيقها، وأصبر قدامها.^١

ثالثاً: بالطهارة

❖ هذه هي رؤية الثالوث القدس قدر المستطاع... التي تكتشف بالرحمة للأطهار.
طوبى لمن اهتم وبغض الكل لكي يستحقها.^٢

❖ أجعلنا يا رب أن ننظر معبني أسرارك استعلان مجدك داخلي في كل حين. آمين.^٣

❖ حياتك... هو الله، أطلب حياتك منه،
لتندوّق النعيم المفرح له بظهوره في نفسك.
هذا هو المدخل الظاهر، وهذا هو المسكن المقدس.
يعطيك الله يا أخي أن تبصر هذا السر داخل نفسك. آمين.^٤

❖ طوبى لمن استحق العقل النقى... هو وحده فقط ينظر الثالوث القدس...
كيف ينظر؟ لا يقدر حتى السيرافيim الفوريانيين أن يشرحوا ذلك.
فقط هو ينظر ليعرف الناظر، أما كيف، فلا يُعرف.^٥

❖ من رأء، واحتمل قلبه إلا يراه؟!
من سمع كلامه، واحتمل أن يكون بغير صوت؟!
من استشق رائحته، ولم يجيء عاجلاً لينعم به؟!
لماذا تنظر عيناك إلى السماء، كمن لا يحسن أن خالقه داخله؟^٦

^١ مير ٤ (راجع القصص تادرس السرياني).

^٢ مير ٨ (راجع القصص تادرس السرياني).

^٣ مير ٨ (راجع القصص تادرس السرياني).

^٤ مير ١٣ (راجع القصص تادرس السرياني).

^٥ مير ٢٠ (راجع القصص تادرس السرياني).

^٦ مير ٢٢ (راجع القصص تادرس السرياني).

رؤيه الله

عند القديس مار يعقوب السروجي

رؤيه إلهيه فائقة!

أيها العالى غير المفهوس الجالس على المركبة، أعطني كلمتك لأكرز على الأرض
كلها بأنك غير محدود.

أيها الخفى العالى عن العوين العاملين لك، لتختراني، فلترسل لك بين
الأرضيين المخلصين لك.

أيها الأزلى العارف بذاته وحده، كيف لا يخدمك لسانى بالترنم بخيراتك؟
أيها المخوف الذى تخجل منه الشمس أن تنظر إليه، فلينظر فيك العقل،
ويتحرك بعظمة تمجيدك...

أيها المحمول على الكاروبيم، والذي لا يقدر الأرضيون أن يتكلموا عنه، تكتم
في من أجل مراحمك التي فيك.

أيها العظيم فوق صفوف السمايين، أرني دهشك غير المفهوس لأنكلم عنك...
أيها العبارك بحركات العجلة الناطقة، حرك أصواتي لخرج تمجيدك غنّياً...

الفم عاجز عن تمجيدك أيها الرب العلي،
اصنع لي فما جديدا يصلح للترتيل لك.

لتنطق في الشلة المختارة التي وعدت بها في الأنبياء،
فتنطق بقول مدھش عن ألوهيتك،

ونذلك بالحب الذى هو المعلم، وكلى الحكمة...

العلم صغير، لا تكفيك الأماكن؛ أين يمضي لكى يطلبك؟...
أنت قريب لمن يطلب أن يلتصق بك^۱.

^۱ على المركبة التي رأها عزقيلا النبي أصحاح ۱.

هل من ضرورة للرؤيا؟

﴿تلتزم العلائق أن تنظر الله في موضعه، فماذا يطلب هذا النبي (حزقيال) ابن السبي؟ ما الحاجة للرؤيا السماوية المدهشة، حتى تنزل إلى الأرض، فينظر النبي هذه الرؤيا العلوية؟﴾

كان هذا النبي المفترز حزيناً للغاية من أجل سبي شعب الله الذي صار في مذلة، وكانت نفسه مرأة بالآلام في داخله، من أجل أورشليم مدينة الملوك التي خربت، كان مهتماً بصهيون أم الكهنة، وبهيكل الذبائح الذي دخل إليه خنزير الغاب، وأفسد جماله كلها!

فانحط بيت داود الذي تقاضل بقرايبينه، وحلت به المهانة، وصار عبداً بين الكلدانيين ...

فأراه الرب مركبة مجده ليتعزى به، وتنعم نفسه، إذ يعرف من هو سيده، ومن هو ربه.

رب الكل فوق كل السيدات، وصوت العجلات، والرعد والأجنة يطرد عنه حزن السبي الذي خطى ضميره ...

فلا يحسب الكلدانيين أسياداً، إنما يتأمل مجد المركبة المرتفعة، فيحسب مركباتهم وفرسانهم رذيلة.

من أجل هذا نظر حزقيال الرؤيا العظيمة، لكي لا يحزن بالمنظر الزمني الذي للكلدانيين^١.

الابن يعلن عن الآب

﴿ابن الله هو نسمة النبوة، نواه لم يخرج استعلن عن أبيه... أي غنى للشمس إلا نورها؟

وأي سرّ للأب إلا ابنه، وبغيره لا يُعطي استعلن لأحد.

بيده تخرج الأسرار للظهور من بيت الآب، وهو سرّ كل أسرار النبوة...

اشتهى ابن الله أن يصير إنساناً،

^١ على المركبة التي رأها حزقيال النبي أصحاح ١.

من أجل هذا كمثل إنسان نظره حزقيال،
من ذاك الحين استعد أن يحل في البطن،
والأجل هذا صنع له كرسياً يجلس عليه.
اختار أن يتنازل إلى المستوى البشري.
من أجل هذا لبس أشباهها متواضعة. لم تتحده السماء والأرض بتخومها،
وانضبط بالكرسي كما شهد لنا حزقيال،
لم تمسه الأقطار والبحار والجهات، وإن اختار مسكنه في الأشياء شهدت

بنك مريم.

رأه دانيال آثينا على السحاب، ممجدًا كشبه ابن إنسان نبدين العالم بقواتها.
وأيضاً رأه حزقيال على الكرسي العظيم، على المركبة جالساً، كمثل إنسان
وهو الله.

صنع الشبه الذي أخذ في البطن.

يتطلع على أجنحة السمانيين من قبل أن يكون على ما صار إليه في
ملء الزمان...
قبل أن يتجسد أظهر شبه الجسد، حتى لا يجذف أحد من العتاجسين
عندما يتجسد.

صنع لكرامته مجلساً وكرسيّاً ومركبة، لأنه اختار أن يتنازل إلى
الحياة البشرية.

نصفت به الأدوار السفلية التي لنا، لكي عندما يتنازل لا تهينه قواته.
من أجل هذا نظره حزقيال كمثل إنسان لكي عندما يصير بالحق ابن البشر
يعرفونه.

جلس على الكرسي، وضبيطه الكرسي قدام حزقيال، لكي عندما يضبطه بطن
الجسد يتحققوا منه^١.

^١ على المركبة التي رأها حزقيال النبي أصحاح ١.

لتحل في عقلي كما على جبل سيناء!
﴿أَعْنَى لِأَصْفَ ظَهُورُكَ الْعَجِيبُ عَلَى جَبَلِ سِينَا﴾
الجبل الصخري الهائل الذي ارتعد أمام عظمتك وقوتك، وحملك مجازاً، حلت
عليه، وهو من صنعك.

حل في عقلي، لأنهم أسرارك، فهو يتلهف إليك.
لا تشعر بك الأرض، فتحتضنك، كما يحتضنك الفكر،
ولا تستطيع الجبال أن تستقبلك كما تستقبلك الأفكار!
فالتفكير أوسع من الجبل.

الفكر أكثر رحابة من جبل سيناء، فلتحل عليه، ليتصاعد منه صوت الشكر.
وهو أقدر على تمجيدك وشكرك.
أقبل نفسي المنطلقة بسمو جمالك.
أردت أن تطغى على شعب لم يفهمك،
أعطيت على أنا المتسلل إليك.^١

يوحنا يضع يده على المسيح - اللهيب
﴿اقْرَبْ يَوْهَنَّا، وَأَهْنَى يَدَهُ عَلَى الْلَّهِيبِ، فَاسْتَغْرَبَتْ صَفَوْ السَّاهِرِينَ (السَّمَائِلِينَ) مِنْ
بَعْضِهَا بَعْضًا وَهِيَ خَائِفَةٌ﴾.

تحير العساكر من الأعجوبة التي رأوها: إذ كان الهاشيم (القشن) يمسك اللهيب
ولا يحرق.

تحير العذويون بالآية المخيفة التي تمت هناك، إذ لم تتضرر اليد الحميدة باللهيب.
يستر العساقوف وجواههم من لهيبه، ويد الطين المجبولة موضوعة فوق رأسه...
المحمول على الكاروبيم، والبهي على المركبة، والخفى عن المستيقظين،
والمستقر عن الصفوف، والمجد بين الجموع، والمخيف على الطغمات.

الصفوف تحتجب، والجماع تزدحم، والمراتب تستجعل، والعساكر تخاف،
والآجراء ترتجف، والألوان ترتعب.^٢

^١ في حلول الرب على جبل سيناء والرمز إلى الكنيسة.
^٢ على الخطاب أعني عادة ربنا من يوحنا.

دخول الابن وحده إلى قدس الأقدس حيث لا تدخل المخلوقات

لم يكن ممكناً لطغمة سماوية مهما ارتفع قدرها أن تدخل إلى حصن الآب، وتتمتع بروية الجوهر الإلهي. إنما بتصعوده دخل وحيد الجنس الذي لم يفارق هذا الحصن بتجسده. دخل أيضاً كرئيس الكهنة الأعظم السماوي يشفع عن عروسه بدمه التمين. "لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات يسوع المسيح ابن الله" (عب 4: 14).

﴿ يوجد كهنة ورئيس الكهنة واحد فقط، وواحد يدخل إلى قدس الأقدس لا كثيرون .

دخل الوحيـد وحـدـه عـنـ أـبـيهـ، وـلاـ تـوـجـدـ فـرـصـةـ ليـدـخـلـ آخـرـ عـنـ الآـبـ.

حرـكـ الملكـ دـاـوـدـ عـازـفـ الـقـيـثارـةـ الإـلـهـيـ صـوتـهـ نـحـوـ أـبـوـابـ الطـوـلـ لـيـفـتحـهـاـ.

أـرـتـفـعـيـ أـيـتـهـاـ أـبـوـابـ الـأـبـيـةـ، أـعـنيـ لـيـسـ مـفـتوـحةـ إـلـاـ لـهـ، وـلـيـسـ لأـحـدـ (ـالـقـدـرـةـ)

أـنـ يـدـخـلـ فـيـهـاـ.

ظلـ الـمـلـاـكـةـ قـبـلـ أـنـ يـصـلـوـاـ إـلـىـ الـأـعـالـىـ وـإـلـىـ الـأـبـوـابـ، وـارـتـفـعـتـ الـأـبـوـابـ ليـدـخـلـ
الـمـلـكـ وـحـدـهـ.

إـلـىـ الـمـوـضـعـ الـخـفـيـ وـالـمـسـتـرـ وـالـخـيـفـ الـذـيـ لـاـ يـوـصـفـ، وـهـوـ فـوـقـ كـلـ الـأـعـالـىـ
وـالـمـسـافـاتـ وـالـمـوـاضـعـ.

عـنـدـمـاـ صـدـ تـوـقـتـ طـغـمـاتـ طـغـمـاتـ، وـمـكـثـ كـلـ وـاحـدـةـ مـنـهـاـ فـيـ مـوـضـعـهـ وـارـتـفـعـ.
إـلـىـ مـوـضـعـ خـفـيـ لـاـ عـلـمـ لـلـمـخـلـوقـاتـ بـهـ، وـخـبـرـهـ لـيـسـ مـخـتـلـطاـ بـالـكـانـاتـ وـبـالـقـاتـلـاتـ^١.

مسكن المسيح خفي عن الملائكة والعقول والأفكار

كـثـيرـاـ ماـ يـعـلنـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ أـنـ السـمـاءـ كـرـسـيـ اللهـ (ـمـتـ ٥: ٣٤ـ)، وـأـنـ طـغـمتـيـ
الـكـارـوـبـيـمـ وـالـسـارـوـفـيـمـ يـحـمـلـانـ عـرـشـ اللهـ، لـكـنـ بـعـضـ الـآـبـاءـ يـعـلـمـونـ أـنـ سـمـاءـ السـمـاـوـاتـ لـلـرـبـ،
بـمـعـنـىـ أـنـ مـنـ تـنـازـلـهـ يـعـلـمـ عـنـ نـفـسـهـ فـيـ السـمـاءـ قـدـرـ اـحـتـمـالـ طـغـمـاتـ السـمـائـيـةـ رـؤـيـتـهـ، أـمـاـ
سـمـاءـ السـمـاـوـاتـ وـإـدـرـاكـ جـوـهـرـ اللهـ، فـلـنـ يـبـلـغـهـماـ مـخـلـوقـ ماـ. الـأـبـ الـوـحـيـدـ هوـ وـاحـدـ مـعـ الـأـبـ
فـيـ ذـاتـ جـوـهـرـهـ وـمـسـاوـيـ كـائـنـ مـعـ الـأـبـ وـرـوـحـهـ الـقـلوـسـ فـيـ سـمـاءـ السـمـاـوـاتـ، وـيـدـرـكـونـ
بعـضـهـمـ الـبـعـضـ، وـهـمـ لـاهـوـتـ وـاحـدـ، اللهـ الـوـاحـدـ.

^١ مير ٢٠٤ عن صعود ربنا يسوع (راجع الآب بول: بيجان - دكتور سوني بنهام)، المير السادس والخمسون، على صعود ربنا للسماء، رومه ميخائيل أنسليوس، مطبعة نصر بالجلالة، ١٩٠٣، ص ٦٤٤-٦٣٥.

❖ المسكن غير مصنوع، ولا يوجد نده في المصنوعات، الموضع بعيد عن الملائكة وعن الأفكار.

ولا تصل إليه العقول والأفكار، ولا يفكر حتى المستيقظين (السمائيين) ليقولوا أين هو موجود.

ظل السفليون في تخوم ولاياتهم، وأيضاً الوسطيون والعلويون والذين هم أعلى منهم.

وكما اخترى عن ذلك الفوج الذي كان على جبل الزيتون، كذلك اخترى عن الوسطيين والعلويين.

ولدخل وحده إلى قدس الأقداس الداخلي، ولم يدخل معه العقل ولا الفكر.

توقف العقل، ولم يقدر أن يتجرأ ويرتفع أيضاً، ليعرف كيف ارتفع الآبن. يصعد العقل مثل الملائكة ولا يزيد أكثر، وحيث يظل المستيقظون (السمائيون) تظل الأفكار^١.

❖ اخترى الآبن عن العقول وعن الملائكة، كما اخترى أيضاً عن توما وبودنا. نظر إليه سمعان بقدر ما استطاع أن ينظر وهو يصعد، ونظر جبرائيل وميخائيل بقدر استطاعتهما.

ونظر العقل إليه بقدر ما استطاع أن يتجرأ، ومدت الأفكار حركاتها لنرى موضعه.

ارتفع وصار باطنياً، واستتر عن التلاميذ، وعن الملائكة، وعن العقول. وعن الأذهان، وعن الأفكار، وعن حركاتها ولا تقدر أن تنظر إليه بسبب ارتفاعه.

يليق بالمخلوقات إلا تحاول معرفة موضع الآبن الخفي

❖ فك يا سمعان، لقد صعد ربك إلى موضعه العالي، ومهما تنظر فلن تراه لكثره ارتفاعه. قف يا جبرائيل، لأنه ارتفع أعلى من فوجك، ولست صاحب سلطان لارتفاع وراءه إلى موضعه.

^١ مير ٢٠٤ عن صعود ربنا بسوع (راجع الأب بول بيجان - دكتور سوني بنهام).

قفِي أيتها المركبة، وحرّكِي عجلاتك لتباركي الخفي في موضعه، لأنَّه ليس مأذوناً
لَكَ أَنْ تُشَاهِدِي موضعه.

قفِي يا ميخائيل يا رئيس القوات العظيم، لأنَّك لن تصل إلى مرتفعات ربِّك العالية.
قفِي أيها العقل الذي يتجرَّس ويخطو ويقفز ويسقط، لئلا تتجرَّس أَيُّضاً (لتبلغ) إلى
المرتفعات التي لا تدرك.

دخل رئيس الأخبار إلى قدس الأقدس بدم نفسه، ليصالح آياه مع الإنسانية.
هو الذبيحة، وهو رئيس الكهنة، وهو السكين، وهو يُدخل نفسه لتطهر به
كلَّ الخليقة.

ذاك الذي نزل صعد، وذاك الذي تنازل أَخْضَع الأعلى، وهو نزل وتفقدنا، وهو
صعد وخلصنا، له التسبيح.

رؤیة الله

عند القديس مقاريوس الكبير^١

رؤیة العریس السماوی فی نور الروح

﴿إذ يرتفع الحجاب عن وجه النفس، فإنها تتحقق في العریس السماوی وجهاً لوجه فی نور الروح الذي لا يعبر عنه، وتحتاط به بملء الثقة، وتشبه بموته، وترقب دائمًا بشوق عظيم أن تموت لأجل المسيح.﴾

وهي تتحقق بيقین شدید أنها ستتألّب بقوة الروح انتقاماً كاملاً من الخطية ومن ظلمة الشهوات، حتى إذا ما اختفت وتطهرت بالروح، وتقدست نفساً وجسداً، يسمح لها حينئذ أن تكون إباءً طاهراً معداً لاستقبال المسحة السماوية، وحلول المسيح الملك الحقيقي، وحينئذ تؤهل للحياة الأبدية، إذ تكون قد صارت منذ تلك الساعة مسكنًا طاهراً للروح القدس^٢.

ظهورات الله المتنوعة للنفوس

﴿ظهر لكل واحد من الأنبياء القديسين بالطريقة التي أرادها وأستحسنها لهم. ظهر لإبراهيم بطريقة، ولإسحق بطريقة، وليعقوب بطريقة غيرها، وبغيرها لنوح، ولأنانيا، ولداود، ولسليمان، ولأشعياء، ولكل واحد من الأنبياء القديسين - وبطريقة إيليا، وبآخرى لموسى.﴾

وفي اعتقادى أن موسى فى كل ساعة على الجبل طوال صوم الأربعين يوماً، كان يقترب إلى تلك الصائدة الروحانية، ويتلذذ بها ممتنعاً بيجهتها.

وظهر لكل واحد من القديسين، بحسب ما شاء هو، ليعطيهم راحة وخلاصاً، وليقودهم إلى معرفة الله.

^١ النصوص الواردة هنا مقتبسة عن ترجمة الدكتور نصحي عبد الشهيد، بيت التكريم لخدمة الكلرازة، يونيو ١٩٩١.

^٢ حلقة ٤: ١٠.

وأي شيء يشاءه هو سهل عنده.

فكم يريد، فهو ينقص نفسه ببعض التجسيم، ويصير نفسه قابلاً لأن تنظره عيون أولئك الذين يحبونه، مظهراً نفسه، لأولئك الذين يستحقون، في مجد نور لا يدري منه، وذلك بحسب محبته العظيمة والتي لا ينطق بها، وبواسطة قوته الخاصة. والنفس التي حسبت أهلاً، باشتياق شديد وانتظر الله، وإيمان ومحبة، لتناهى تلك القوة من الأعلى، أي محبة الروح السماوية، وقد نالت النار السماوية، نار الحياة غير المائة، فإنها تنفك حفاً من كل محبة عالمية، وتطلق حرة من كل رباط الشر^١.

صورة المسيح في داخل عقله

﴿لَذُكْ فَمِنْ يَرِيدُ وَيَشْتَهِيْ أَنْ يَصِيرَ شَرِيكًا فِي الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ، وَأَنْ يَرِيْ كَمَا فِيْ مَرَأَةٍ صُورَةَ الْمَسِيحِ فِيْ دَاخِلِ عَقْلِهِ، يَنْبَغِيْ أَنْ يَطْلَبَ مَعْوِنَةَ اللَّهِ الَّتِي تَنْدَقُ مِنْهُ بِقُوَّةٍ. يَطْلَبُهَا بِحُبٍّ مُشْتَعِلٍ لَا يَنْطَفِئُ، وَبِرَغْبَةٍ حَارَّةٍ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ وَكُلِّ قَدْرَتِهِ، لَيَلَّا وَنَهَارًا هَذِهِ الْمَعْوِنَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْكُنُ نَوَالَهَا، كَمَا قَاتَ سَابِقًا إِنْ لَمْ يَتَخَلَّ الإِنْسَانُ عَنْ لَذَّةِ الْعَالَمِ وَعَنْ شَهْوَاتِ وَرَغْبَاتِ الْقُوَّةِ الْمَعَادِيَّةِ، وَالَّتِي هِيَ أَجْنِبَيَّةٌ عَنِ النُّورِ، وَمُخَالَفَةٌ لَهُ وَهِيَ مِنْ نَشَاطِ وَعَمَلِ الشَّرِيرِ، وَلَنْ يَسِّرْ لَهَا أَيْةٌ قَرَابَةٌ أَوْ مُشَابَهَةٌ لِعَمَلِ الصَّلَاحِ، بَلْ هِيَ غَرِيبَةٌ تَعَامِلُ عَنِهِ﴾^٢.

ظلمة الخطية تفسد الروية

﴿كَمَا حَدَثَ فِيْ مَصْرَ فِيْ فَتَرَةِ الْثَّلَاثَةِ أَيَّامِ الْمُظَلَّمَةِ، أَنَّ الْأَبْنَى لَمْ يَكُنْ يَرِيْ أَبَاهُ، وَلَا أَخَاهُ، وَلَا الصَّدِيقَ صَدِيقَهُ، بِسَبَبِ أَنَّ الْظَّلْمَةَ غَطَّتْهُمْ، هَكَذَا أَيْضًا حِينَما تَعَدَّى أَدَمُ الْوَصِيَّةُ، وَسَقَطَ مِنْ حَالَةِ مَجْدِهِ الْأَوَّلِ، وَصَارَ تَحْتَ سُلْطَانِ رُوحِ الْعَالَمِ، غَطَّى حِجَابَ الظُّلْمَةِ نَفْسَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى أَنْ جَاءَ آدَمُ الْآخِرِ، الَّذِي هُوَ الرَّبُّ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ يَرِيْ أَبَاهُ السَّمَاوِيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَلَا أَمَهُ الصَّالِحَةِ الرَّحِيمَةِ، الَّتِي هِيَ نَعْمَةُ الرُّوحِ، وَلَا أَخَاهُ الْحَلُوِ الْمُحْبُوبُ الَّذِي هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ، وَلَا أَصْدِقَاءُهُ وَأَقْرِيَاءُهُ أَيُّ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَفْرَحُونَ مَعَهُمْ سَابِقًا وَبِهَلَّ وَيَعِيدُونَ.﴾

^١ عَظَةٌ : ٤ : ١٣

^٢ عَظَةٌ : ٢٥ : ٣

ولكن ليس فقط إلى يوم أن جاء آدم الأخير، بل وحتى إلى هذا اليوم، فإن أولئك الذين لم تشرق عليهم "شمس البر" (مل ٤ : ٢)، أي المسيح، والذين لم تنفتح عيون أنفسهم و تستثير بالنور الحقيقي، لا يزالون تحت نفس ظلمة الخطية، وتحت نفستأثير الشهوات، وهم تحت العقاب بعينه، إذ ليس لهم إلى الآن عيون لينظروا بها الآب^١.

افتتاح العيون الداخلية

❖ ينبغي على كل واحدٍ أن يعرف هذا الأمر ويتتحقق منه أيضاً، أنه توجد عيون داخلية أعمق من هذه العيون الطبيعية. و يوجد سمع أعمق من هذا السمع.

وكما أن هذه العيون الجسدية تنظر وجه الصديق أو المحبوب وتتعرف عليه، فإن عيون النفس المستحقة المؤمنة بسبب نوالها الاستثناء الروحية بنور الله، تنظر الصديق الحقيقي الذي هو العريس المحبوب جداً والحلو جداً أي الرب، وتتعرف عليه، إذ تكون النفس مملوءة ومشحونة بإشراق الروح المجد.

وهكذا إذ ترى بالعقل ذلك الجمال المشتهي، والذي لا يمكن التعبير عنه، فإن النفس تجرح بشهوة الحب الإلهي، وتنتجه إلى كل فضائل الروح، وتسير فيها، وهكذا تمتلك حباً لا يُحد ولا يسقط للرب الذي تشتاق إليه^٢.

العين والقلب

❖ كما أن العين عضو صغير بالمقارنة بكل أعضاء الجسم، وعين الإنسان صغيرة جداً إلا أنها عظيمة للغاية، لأنها بنظرة واحدة يرى الإنسان السماء والنجوم والشمس والقمر والمدن والمخلوقات الأخرى، وهذه المخلوقات نفسها التي تُرى بنظرة واحدة، إنما تتشكل وتتصور في عين الإنسان الصغيرة، هكذا أيضاً العقل بالنسبة إلى القلب.

فالقلب صغير ومع ذلك يوجد فيه تنانين، وأسود ووحوش سامة وكل بنايع الشر إلى جانب المهالك والطرقات الوعرة الخشنة.

وفي نفس الوقت يوجد فيه الله نفسه، والملائكة والرسل، ويوجد فيه الحياة والملكوت والنور، كذلك المدن السماوية وكنوز النعمة، كل هذه توجد فيه^٣.

^١ عظة ٤:٢٨.

^٢ عظة ٥:٢٨.

^٣ عظة ٤٣:٧.

رسم صورة المسيح في النفس بالتفرس فيه دائمًا
❖ كما أن الرسام يتفرس في وجه الملك أولاً ثم بعد ذلك يرسمه، وحينما يكون وجه
الملك متوجهًا نحو الرسام الواقف أمامه لكي يرسمه، فحينئذ يرسم الصورة بسهولة
وتكون حسنة جداً، ولكن إذا حول الملك وجهه بعيداً، لا يستطيع الرسام أن يرسم، لأن
الوجه ليس في مواجهته، كذلك يفعل المسيح - الفنان الصالح - في أولئك الذين
يؤمنون به ويتعلمون إليه ويتبعون نظرهم فيه دائمًا.
فإنه حالاً يرسم صورة الإنسان السماوي على صورته.
 فمن روحه ومن جوهر النور نفسه - النور غير الموصوف - يرسم صورة
سماوية، وينعم عليها بعرى بها الصالح الذي يفيض بالنعمة والجمال.
فإن كان الإنسان لا ينظر إليه ويتفرس فيه دائمًا، ويفقد كل شيء آخر، فإن الرب
لا يرسم صورته بواسطة نوره الخاص.
لذلك ينبغي أن ننظر إليه ونتفرس فيه، بحيث نؤمن به ونحبه، ونردد كل شيء
غيره، ونأتي أمامه لكي ما يرسم صورته السماوية، ويرسلها إلى داخل نفوسنا، وهذا
إذ نلبيس المسيح، فإننا نتلقى الحياة الأبدية، ونحصل على يقين تام - هنا ومنذ الآن -
وندخل في الراحة^١.

رؤيه الله عند آباء آخرين

١. القديس أفرآم السرياني

يُرکز مار أفرآم السرياني في أن الله غير مدرك بطبيعته المهوية. وهو لا يطلب عطياً سرية، أو الوصول إلى التأمل في الله كغاية الحياة المسيحية، إنما يطلب التقديس والطهارة، حيث تتحقق الوحدة مع الله في الأسرار.

- ❖ احرص على طهارة جسمك وسلامة قلبك، فإنك إن تحققت من نوالهما تبصر الله ربك.
- ❖ حب السلام والطهارة، فتأهل لمعينة وجه رب إلهك.

٢. القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس

في عمله *Panarion*، أي صندوق العلاج ضد الهراء، يرفض إمكانية الإنسان في أن يرى الله، فلن كان الكتاب يؤكد الرواية، إنما لأن الله من قبل صلاحه يعلن ذاته للإنسان بالقدر الذي يمكن للإنسان أن يستوعبه. وذلك كما لو وقف إنسان على السطح، فإنه حقيقة يرى السماء، وحقيقة هو لا يراها.

٣. القديس جيروم

❖ يليق بك ألا تحزن لأنك حُرمت من الأعين الجسدية التي يشترك فيها النمل والحشرات الطائرة والزواحف مع الإنسان، بل بالأحرى تفرح أن لك العين المذكورة في سفر نشيد الأناشيد... هذه التي بها تنظر الله، والتي أشار إليها موسى حين قال: "أميِل الآن، لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر ٣:٣).^١

¹ Ep. to Baetica 76:2.

❖ الذي يرى هو أيضًا يُخبر، لكن لا يُخبر بكل عظمة من يراه، ولا بكل ما يعرفه، إنما قدر ما يتحمل القابلون للموت (البشر) أن يقلوا^١.

❖ تعبيره "عينا القلب" (أف ١: ١٨) يشير إلى تلك الأمور التي لا يمكننا أن نفهمها بدون الحس والتعقل... فالإيمان يرى ما هو وراء رؤية العيون الجسدية. فبان العيون الجسدية توجد ليس فقط في رؤوس الحكماء، بل وفي غير الحكماء^٢.

٤. القديس مار إسحق السرياني

❖ كل عقل حسب مقدار تدرجه يستثير بكمية محدودة من التور.

❖ من يتهدى على نفسه ساعة واحدة في الوحدة، أفضل من يقيم الموتى بصلاته وهو مقيم وسط الاضطراب. ومن استحق أن يتأمل ذاته أفضل من استحق أن ينظر ملائكة. فهذا بعين الجسد يراهم، أما ذاك فبعين النفس (يتمتع بالشركة معهم).

❖ لأنفسنا حدثان، لكن النظر الخاص بكل منها يختلف استعماله عن الآخر. يأخذى هاتين الحقتين بعيين أسرار الطبيعة، أعني قوة الله وحكمته وعنايته بنا، وندركها بفضل الجلال الذي يosoتنا به. وبالحقيقة الأخرى بعيين مجد طبيعته المقدسة، حتى يرتضي الله إدخالنا إلى الأسرار الروحية^٣.

٥. القديس ديديموس الضرير

❖ وجه الله هو رسم جوهره (عب ١: ٣). من ينتهي وجه الله بكل قلبه، فيستطيع أن يتأمله بقلب نقي، ويثبت نظره عليه، يرحم يقول الرب. مثل هذا الإنسان يستطيع أن ينطق بالكلمات التي أمامنا.

يا لعظمة ذاك الذي يرى وجه الله.

¹ Against the Pelagians, 3:12.

² Epistle to the Ephesians, 1: 1: 15.

³ عن الأب غريغوريوس بالماض، دير الحرف، ص ١٠٦ (في الدور المقدس، ١٥).

لِيَعْلَمُ الْرَّبُّ يَسُوعُ عَظَمَتِهِ، إِذْ يَقُولُ: "فَلَوْبِي لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لَأَنَّهُمْ يَعَاينُونَ اللَّهَ" (مت ٥: ٨).^١

❖ إن كان الله نور، فإن الله لا يدرك بهاؤه بالعين بل بالفكر.^٢

٦. القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ لقد عرف أنه يستحيل عليه في الوقت الحاضر أن يرى ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب إنسان (١ كو ٢: ٩). إنه يعرف أن مجد الله غير منظور للأعين الجسدية.^٣

❖ "هو يكشف العائق والأسرار. يعلم ما هو في الظلمة، وعنه يسكن النور".
(دا ٢٢: ٢)

لا تستطيع بقدرتنا الطبيعية أن نتأمل السماويات.

علينا أن نتعلم عن الله من الله، فليس لنا مصدر للمعرفة سوى شخص الله.

ربما تكون مدرّباً حسناً في الفلسفة الزمنية، ليكن!

ربما تعيش الحياة الصالحة، هذا كلّه قد يضفي إليك شيئاً عقلياً، لكن لن يقدّم لك معرفة الله.

لقد تبنت الملكة "ابنة فرعون" موسى، واتخذته لها ابناً، وتهذب موسى بكل حكمة المصريين. ويسبب ولائه لشعبه النقم موسى لليهودي بقتل المصري الذي أساء إليه. لكنه بالرغم من أنه لم يعرف الله الذي بارك آباه. لأنه عندما ترك مصر خوفاً من عمله الذي أكتشف عاش كراع في أرض مidian. هناك رأى ناراً في غلقة، والعليقة لم تحرق. ثم سمع صوت الله وسأله عن اسمه، وتعلم ما هي طبيعة الله، وبالرغم من كل ذلك لم يستطع أن يعرف شيئاً إلا خالل الله نفسه.

يجب علينا نحن أيضاً بالمثل أن تكون حدود كلماتنا عن الله في نطاق الكلمات التي تكلم بها الله معنا عن نفسه.

^١ للonus ثادرس يعقوب ملطي: المزמור المئة والتاسع عشر (١١٨) غنى كلمة الله ولاتها، ١٩٩٦.

^٢ In John PG 39:1645c.

^٣ On Ps. 118: Heth,7.

٧. القديس أفراداط الحكم الفارسي

يرى القديس أفراداط أن الصلوات الندية كصلوات موسى النبي تؤهل المؤمن للتمتع برؤية الله.

❖ ماذا نقول عن القدرة غير المحددة لصلوات موسى؟
صلاته أُنْقَدَ منْ لِيْدِي فرعون.
وَتَرَآَى اللَّهُ لَهُ فِي الشَّكِينَاهُ^١.

٨. ديوينيسيوس الأريوباغي

في كتاب "اللاموت السري" ملخص لـ Dionysius the Areopagite المنسوب لـ Dionysius the Areopagite جاء:

❖ إننا نصلى لكي ندخل إلى هذه الظلمة (الضباب الذي يخفى أسرار الله) التي تنبع من النور، ولكن دون أن نرى، ودون أن نعرف.
نرى وندرك ما هو فوق كل رؤية وكل معرفة، وذلك بتحققنا أنه بعدم الرؤية
الحقيقة والمعرفة الحقيقة.
وهكذا نسبع بطريق فائقة ذاك الفائق في جوهره، وذلك بإزالة جوهر كل الأشياء
(من أمام بصيرتنا الداخلية).
فإنه حتى الذين ينحثرون تمثلاً من الرخام يبدون ويزيلون كل مادة محبيطة تحجب
رؤيا يخفيها الرخام، بهذه الإزالة نرى الجمال الخفي^٢.
❖ لا يمكن أن يعرف بواسطة الحواس، ولا في صورة، ولا بواسطة فكره، ولا بالفعل،
ولا بالمعرفة^٣.

لم ترد هذه الكلمة في الكتاب المقدس، لكن يستخدمها اليهود كما المسيحيون عن سكتي الله بين الكاروبين على غطاء تابوت العهد.

² Dionysius the Areopagite: *The Mystical Theology*, ch. 2.

³ *De divinis nominibus*, ch. 15.

❖ الغمام الإلهي هو النور غير المقترب إليه الذي يقال إن الله ساكن فيه، وفيه يدخل كل من وجد مستحفاً أن يرى ويعرف الله، ليس بروية ومعرفة الشيء للشيء، ولكن بالوجود فيه هذا الذي هو فوق كل معرفة^١.

❖ نحن نصل إلى يكون لنا حظ الوجود في ذلك الغمام الإلهي الذي هو دون طبيعة جوهر النور^٢.

٩. الأب هيسبيخيوس الأورشليمي

❖ إذ يرتفع (الله) على لا أراه، وإن عبر بي لا أعرف أيضاً هذا.
يرتفع الله فوق كل واحدٍ منا، عندما يرجى الحكم الذي علينا.
ومن جانب آخر يعبر بنا، أي يعبر في وسطنا...

في المقام الأول لا نقدر أن نراه بعيون جسدنَا، وثانياً لا نستطيع أن نبلغ إليه بأرواحنا، لأن ما يشكله رفيق للغاية، ليس فقط بالنسبة لعيون، وإنما حتى بالنسبة للأرواح.

❖ إنه يعبر خلال أذهاننا، لكن من الواضح أن عبوره يتم خلال حياتنا، حيث يعبر بطريق تدبير تجسده وألامه على الصليب وفيامته المجيدة...
و فوق هذا كلّه من يقدر أن يعرف كيف كان هو إنساناً والله (في نفس الوقت):
كيف تالم وحطّم الألم؛
كيف ذاق الموت كإنسان، وكإله أخضع الهاوية وحطّم الموت (أ. كو ١٥: ٥٤؛
٢. تي ٣: ١٠؛ ١ بط ٣: ٢٢).

إنه ذلك الذي حرر البشرية من تلك اللعنة ومن شر الخطية (رو ٨: ٢)،
ولم يستطع أحد أن يخفّف من الأنفال التي علينا التي حررنا هو منها.
لا يستطيع أحد بعد أن يقول له: "ماذا تفعل؟" أو لماذا تبرر الخطأ، وتُدخل
تحت البركة - ذلك الذي كان تحت تهديد اللعنة (غلا ٣: ١٣-١٤؛ تث ٢١: ٢٣).

^١ حياة الصلاة الأرثوذكسيّة، بـ ١ فـ ٣.
^٢ حياة الصلاة الأرثوذكسيّة، بـ ١ فـ ٣.

لقد فعل هذا أولاً بكونه الله، بالقوة التي تخصه بكونه الله، إذ حمل سلطان،
إذ دفن دين خطيبانا في الأرض (كو ٢: ١٤)، لذلك يضيف: "يرد غضبه" هذا الذي
كان ضدنا.

١٠. تاتيان السرياني

❖ ليس الله مدخل في زمٍن، فإنه هو وحده بدون بداية، وهو بدء كل الأشياء.
الله روح، لا تلزمـه مادة، بل هو صانع الأرواح المادية والمظاهر التي للمادة.
إنه غير منظور، بكونـه هو نفسه رب كل الأشياء المحسوسة وغير المنظورة.^١.

١١. القديس مار فيلوكسينيوس المنجبي

❖ إن العقل في هذه الحالة (الرؤيه) لا يستطيع أن ينظر شيئاً حتى ذاته، لأن روحانيته
تكون متحدة بذلك النور الظاهر الملتفـ به.

^١ Tatian The Syrian: Address to the Greeks, 4.

المحتويات

أثر عيني فأتمتع بروبيك

٧

١. رجاونا في رؤية الله بين التأمل والمعرفة والرؤية

رجاؤنا في رؤية الله، عدم إمكانية رؤية الجوهر الإلهي، إمكانية رؤية الله، الكلمة
ال حقيقي ورؤية الآب.

١٢

٢. رؤية الله عند الأب ثيوفيلس الأنطاكى

كتابات القرنين الأول والثاني، الأب ثيوفيلس الأنطاكى.

١٦

٣. رؤية الله عند القديس إيرينيوس

الرؤية والنحو الروحي، رؤية الله وعمل الثالوث فيما، أنواع الرؤية، رؤية الله عطية
الروح للمؤمنين، التقدم في الرؤية.

٤٠

٤. رؤية الله عند القديس إكليمانضس السكندري

رؤيه الله ومعرفته، رؤية الله عطية الهمة، معرفة الله، النمو في الإيمان وكمال
المعرفة.

٤٦

٥. رؤية الله عند العلامة أوريجينوس

معاينة الله وملائكته، بين المعرفة والإيمان، معرفة الشركة والاتحاد مع الله، رؤية الله
ونقاوة القلب، ارفع البرقع فترى الرب، التأمل في الله، الحواس الروحية الخمس،
الرؤى والمعرفة، الدخول في حجال الملك.

٤٩

٦. رؤية الله عند القديس باسيليوس الكبير

رؤيه الله عند الآباء الكبار، رؤية الله عند القديس باسيليوس الكبير.

٤٠

٧. رؤية الله عند القديس غريغوريوس النزيزي

٤١

٨. رؤية الله عند القديس غريغوريوس النسي

معرفة الله وحياتنا العملية، التaurيا الداخلية.

٩. رؤية الله عند القديس أغسطينوس

- ٤٥ -

رؤية الله هي سر سعادتنا، بالقلب النقى نتمتع برؤى الله، بالحب نتمتع برؤى الله في السماء نراه وجهاً لوجه، رؤية الله مكافأة لإيماننا العامل، رؤية الآب بواسطه الكلمة، رؤية الرب في هيكله، دعوة لرؤى الله، رؤية الله بالعقل النقى، مناجاة لرؤى الله.

٦١

١٠. رؤية الله عند القديس كيرلس الأول شلبي

٦٤

١١. رؤية الله عند القديس يوحنا الذهبي الفم
رؤى الله وإدراكه، التجلي ورؤى الله.

٧٢

١٢. رؤية الله عند القديس كيرلس السكندرى

٧٤

١٢. رؤية الله عند القديس أمبروسيوس

٧٧

١٤. رؤية الله عند القديس أنبا أنطونيوس الكبير

رؤى الله في الكتابات النسكية، اعرف نفسك تعرف الله، رؤى الله والقداسة، الرؤى السماوية والمناظر المخادعة.

٧٩

١٥. رؤية الله عند القديس أوغريس

٨١

١٦. رؤية الله عند القديس يوحنا كاسيان
منظرات القديس يوحنا كاسيان.

٨٣

١٧. رؤية الله عند الشيخ الروحاني (يوحنا الدليانى)

يا عظمة رؤى الله، رؤية الله عند الشيخ الروحاني، معرفة الله، رؤى الله ومعرفته في القلب، المعرفة الإلهية، كيف نقتني رؤى الله؟ أولاً: بالصلوة، ثانياً: بعلامة الصليب، ثالثاً: بالطهارة.

١٠١

١٨. رؤية الله عند القديس مار يعقوب السروجي

رؤيا إلهية فائقة!، هل من ضرورة للرؤيا؟، الآباء يعلن عن الآب، لتدخل في عقلي كما على جبل سيناء!، يوحنا يضع يده على المسيح - التهيب.

١٩. رؤية الله عند القديس مقاريوس الكبير

١٠٨

رؤية العريس السماوي في نور الروح، ظهورات الله المتنوعة للنفوس، صورة المسيح في داخل عقله، ظلمة الخطبة تغسل الرؤية، افتتاح العيون الداخلية، العين والقلب، رسم صورة المسيح في النفس بالقمرس فيه دائمًا.

٢٠. رؤية الله عند آباء آخرين

١١٢

١. القديس أفرام السرياني، ٢. القديس أبيقانيوس أسقف سلاميس، ٣. القديس جيروم، ٤. القديس مار اسحق السرياني، ٥. القديس ديديموس الضرير، ٦. القديس هيلاري أسقف بواتيه، ٧. القديس أفراداًط الحكم الفارسي، ٨. ديونيسيوس الأريوباغي، ٩. الأب هيسبيخيوس الأورشليمي، ١٠. تاتيان السرياني، ١١. القديس مار فيلوكسيوس المتجي.

المحتويات

١١٨

قرش جنبية
٣٠٠

كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس عبورتنج - الاسكندرية
ت. ٥٩١٩٨٨٨ .٣٥٩٠٢٨٨٨ فاكس